السنة الثالثة العدد ٢٨

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

سبتمبر ٢٠٢٤ ربيع الأول ١٤٤٦



﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾

مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن



الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ
International Organization Of Sopporters Of The Prophet

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

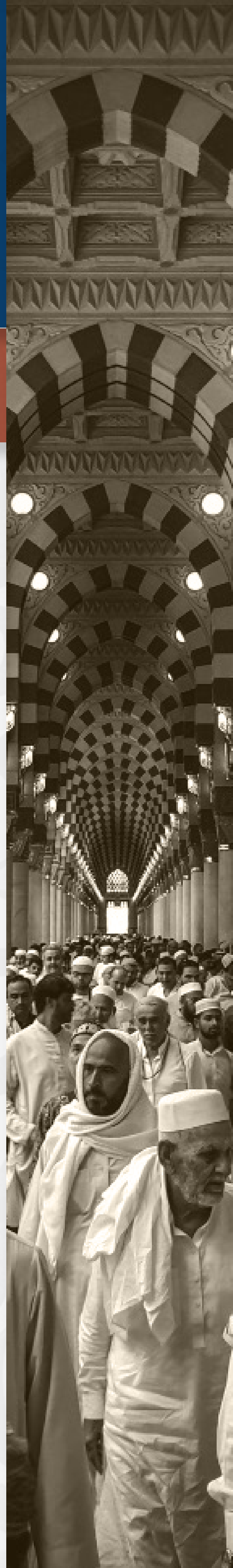
إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم
﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾

محتويات العدد





أئمة الهدى

«من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين»

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»

رئيس الهيئة د. محمد الصغير

رئيس التحرير محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com



أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



أكاديميـة علميـة ودعويـة عالمية، منبثقـة عن الهيئـة العالمية لنصـرة نبـي الإسـلام، تعتمـد التقنيـات والأسـاليب الحديثة في التعليـم، تنظـم وتقدم برامـج ودورات علمية، ودبلومات شـرعية وفنيـة ومهارية في مختلف مجـالات النصرة النبويـة، وتقوم على تخريـج وتأهيـل متخصصين فـي فقه نصـرة النبي صلـى الله عليه وسـلم علميا وعمليـا، وتعمل على تمكين الشـباب المسـلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشـيخ د. محمد الصغير
رئيـس الهيئـة العالمية لأنصـار النبي ﷺ

الشـيخ د.عبدالحي يوسـف
عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

+90 536 491 13 74
@ansaracademy_









د. محمد الصغير
رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الافتتاحية

قافلة الشهداء من سمية إلى هنية

كان معاذ بن جبل حريصاً على العلم واعياً لما يُلقى عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» فقال: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد». وذروة كل شيء أعلاه.

وهذا الذي استقر في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ، لكن الظروف والأحوال كانت تَحول دون نفير الناس جميعاً، فسألوا رسول الله ﷺ عن عمل يعدل الجهاد! قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، مَا يَعْدِلُ الجِهَادَ في سَبيلِ الله؟ قَالَ: «لاَ تَسْتَطِيعُونَه». فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا كُلُّ ذلك يقول: «لا تستطيعونه». ثُمَّ قَالَ: «مثَل المُجَاهِدِ فِي سَبيلِ الله كمثَل الصَّائِمِ القَائِمِ القَانِتِ بآياتِ الله لا يَفْتُرُ مِنْ صلاةٍ، وَلاَ صيامٍ، حَتَّى يَرجعَ المجاهدُ في سَبِيلِ الله»[1].

---

١ متفقٌ عليهِ. وهذا لفظُ مسلِمٍ.

وفي روايةِ البخاري، أنَّ رَجُلًا قَال: يَا رسُولَ اللَّهِ دُلَّني عَلى عملٍ يَعْدِلُ الجهَادَ؟ قَالَ: «لاَ أَجِدهُ» ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَستَطِيعُ إِذَا خَرجَ المجَاهِدُ أَنْ تدخُلَ مَسجِدَك فتَقُوم ولاَ تفتُر، وتَصُوم ولاَ تُفطِر؟» فَقالَ: ومَنْ يستطِيعُ ذَلك؟

وجاء في (فتح الباري) لابن حجر: «قوله: باب: اختلف في سبب تسمية الشهيد شهيداً:

«فقال النضر بن شميل: لأنه حي، فكأن أرواحهم شاهدة، أي: حاضرة. وقال ابن الأنباري: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة. وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعدّ له من الكرامة. وقيل: لأنه يشهد له بالأمان من النار. وقيل: لأن عليه شاهدا بكونه شهيدا. وقيل: لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة.



وقيل: لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل. وقيل: لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة. وقيل: لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع. وقيل: لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه. وقيل: لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره. وقيل: لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة. وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار. وقيل: لأن عليه علامة شاهدة بأن قتل في سبيل الله»».

عِظَم باب الشهادة

إن فعل الشهيد، ودرجة الشهادة التي خص الله بها المؤمنين، هي الباب المُشرع إلى يوم الدين ليكون العبد في مصاف مَن أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً، لذا كان ما

أعدّه الله لهم لا يشاركهم فيه غيرهم، روى أحمد أن رسول اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سِتَّ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ».

ولا يتمنى أحد من أهل النعيم العودة إلى الدنيا إلا الشهيد: روى الشيخان أن النبي ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ».

والشهيد لا يجد ألم القتل والموت: روى أحمد أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ، إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ الْقَرْصَةِ».



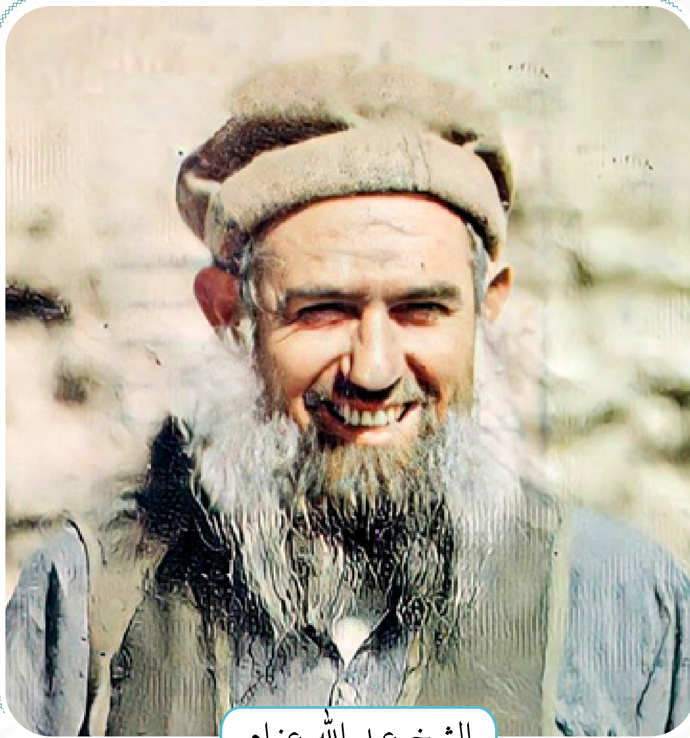
ورائحة دمه شاهدة على منزلته: روى البخاري أن النبي ﷺ قَالَ: «كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ المُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَكُونُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا، إِذْ طُعِنَتْ، تَفَجَّرُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالعَرْفُ عَرْفُ المِسْكِ».

خيار الأمة يرفعون راية الشهادة

وهذه القافلة المباركة التي بدأت في أمتنا بالمرأة الصابرة الثابتة سمية، أم عمار بن ياسر، ما زالت مستمرة ويحط أصحابها رحالهم في الجنة، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم،

وكما بشر رسول الله ﷺ أن هذا الدين يحمله من كل خَلَف عدوله، فإن راية الشهادة يرفعها خيار هذه الأمة، ويتسلمها اللاحق من السابق، حتى تأتيه لحظة الفوز، ويدرك درجة السبق، وقد حدثني أحد رفقاء الدرب مع الأزهري المجاهد الشهيد عبد الله عزام، أنه كان يكرر كثيراً كلمة شهيد الظلال سيد قطب رحمه الله:

«إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع ميتة، حتى إذا متنا في سبيلها دبّت فيها الروح وكُتبت لها الحياة».



الشيخ عبد الله عزام

ولما كتبت ذلك على وسائل التواصل، أرسل لي أحد تلاميذ الشيخ عبد الله عزام مقطعاً مصوراً له وهو يرددها، فأكدت الرواية بالعيان، وقد تحقق للشيخ عزام ما أراد، من نيل درجة الاستشهاد، ودبت الحياة في كلماته، وبقيت في الأمة آثاره وعلاماته.

وعلى الدرب نفسه سار القائد الشهيد إسماعيل هنية، الذي لقي ربه قبل أيام على يد الغدرة الفجرة من بني صهيون، حيث تشابهت البدايات، واتحدت الخواتيم، فرحم الله أبا العبد إسماعيل.

ومن ألطاف الأقدار أن هذا الشهر أغسطس استشهد في ٢٩ منه الأستاذ سيد قطب، فكان حضوره في المشهد هذه المرة أكبر، وظلاله أرحب؛ لأن الشيخ سيد يكتبك أنت، ويعبر عما في حناياك بما عجزت عن قوله وسبكه، فإن كانت الأمة منيت بفاجعة اغتيال القائد هنية، فقد أصابتني منه المصيبة بلاءً خاصًّا، وامتحنت من زاوية وحدي، ولعلي أفرد لذلك مساحة أخرى بإذن الله، لكني ما تعزيت بشيء، كما تعزيت

بكلام صاحب الظلال، عليه سحائب الرضوان، حيث وجدته يقول كلاماً كأنه يصف حال هنية ومآله:

«وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يُودع القلوب من المعاني الكبيرة بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزاً محركاً للأبناء والأحفاد، وربما كانت حافزاً محركاً لخطى التاريخ كله مدى أجيال».

إن هذه التعزية ما كانت لتبقى حية وتعمل في النفوس عملها، لولا أن صاحبها مات في سبيلها، ودفع في حروفها دفقات من دمه، بل إنها نبتت من نبضات قلبه، واقتات عليها، على حد تعبيره في (أفراح الروح):

«كل فكرة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الأفكار التي لم تطعم هذا الغذاء المقدس، فقد ولدت ميتة ولم تدفع بالبشرية شبراً واحداً إلى الأمام».

ومن فرائد منزلة الشهادة وشمول بركتها أنه من طلب الشهادة بصدق، بلغ منازل الشهداء وإن مات على فراشه، وطلاب الشهادة على قسمين: منهم مَن قضى نحبه ومنهم مَن ينتظر

وقد قضى نحبه قبل يومين أحد أعلام الدعوة والتربية في هذه الأمة: أستاذ الجيل محمد أحمد الراشد، الذي وُلد في العراق ودُفن في ماليزيا، بعد حياة حافلة من العطاء، والصبر على النفي واللأواء، وتميز الأستاذ الراشد في كتاباته بالتربية العلاجية للمشاكل الدعوية والأمراض التربوية، حتى عرف كلاهما بالآخر وأصبح عَلَماً عليه، وجمع الأستاذ الراشد في طرحه وطريقته بين فكر سيد قطب ورحابته، وتربية محمد قطب وتأصيله، فجمع بين القطبين في سطر، وجعلهما يكتبان بقلم واحد.

رحم الله أئمتنا من العلماء، وقادتنا من الشهداء، وألحقنا بهم في عليين، غير خزايا ولا مبدلين.



محمد إلهامي (رئيس التحرير)
عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

أنوار الدُّجى

لا بد للأمة المستضعفة التي تحاول النهوض من تقديم الشهداء في سبيل ذلك، هذا قانون الدنيا الذي يعرفه المسلم والكافر، الصالح والطالح، بل هو إجماع العقلاء!

ولئن كان المرء يعرف بالبديهة والطبع أنه لا نجاح في الدنيا بغير التعب والجهد، فبمثل ذلك -بل هو أولى منه- أن لا نهضة لأمة ولا عز لها ولا مجد ولا جاه إلا ببذل الشهداء! فما وصلت أمة إلى السيادة إلا بعد طريق الكفاح المرير! وانظر حولك وفتش في الأمم وفي التاريخ: هل رأيت أمة غلبت وسادت إلا بعد أن انتصرت في المعارك؟!

ولهذا ترى الأمم تجد شهداءها ومقاتليها أكثر مما تجد مهندسيها ومعمارييها وفنانيها، فلولا الحروب والانتصار فيها ما استطاع المهندس والمعماري والفنان أن يصنع شيئا! فالمقاتل والشهيد هم صُنَّاع المجد وأساسه، وأما البقية فهم أصحاب زخرفته وتزيينه وتلميعه!

وقد صدق شوقي حين قال:

ولا يبني الممالك كالضحايا •• ولا يُدْني الحقوق ولا يُحِقُّ
ففي القتلى لأجيال حياة •• وفي الأسرى فدى لهمُ وعتق
وللحرية الحمراء باب •• بكل يد مضرجة يُدقُّ


١

ليست أمتنا في قوانين الدنيا بدعا من الأمم، ولكنها كذلك في المعاني التي تهيمن عليها وتصوغ نفسها ومزاجها، فلن تنتصر أمتنا ولن تنهض ولن تسود إلا إذا خاضت المعارك وانتصرت فيها ووضعت خيرة أبنائها في منازل الشهداء. لكن الشهداء في ديننا ليسوا الثمن المدفوع في سبيل المجد فحسب، ولكنهم السادة الراقون إلى ذروة سنام الإسلام! الصاعدون إلى أعالي الجنان!



ولأن الله هو خيرُ من سُئل وأجود من أعطى وأوفى من وعد، فإنه كافأ الذين بذلوا حياتهم له تصديقا بما وعد وتنفيذا لما أمر، كافأهم بدوام الحياة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].



قال إمام التفسير ابن عطية الأندلسي في هذه الآية: «أخبر الله تعالى في هذه الآية عن الشهداء: أنهم في الجنة يرزقون. هذا موضع الفائدة، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل، حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم»[١].

وأخبرنا نبينا أنه ما من أحد يدخل الجنة فيتمنى أن يعود إلى الدنيا، إلا الشهيد، وهو إنما يتمنى ذلك ليعاود القتال فيُقتل من جديد، ففي حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»[٢].

---

١ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١/٥٤٠.

٢ البخاري (٢٨١٧)، مسلم (١٨٧٧).

ولقد تمنى نبينا ﷺ هذه المنزلة لنفسه، وهو أفضل البشر وسيد المرسلين، ففي حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لوددت أن أقاتل في سبيل الله فأُقتل، ثم أحيا ثم أُقْتَل، ثم أحيا ثم أُقتل!»[٣]

بل إن الذي خرج إلى الجهاد، حتى لو لم يُقْتَل ولم ينل الشهادة، يعطى من الأجر ما لا يعطاه أحد غيره، وقد سُئل ﷺ عن عمل يعدل الجهاد، فقال: «لا أجده». ثم قال ﷺ: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟»، قال: ومن يستطيع ذلك؟. ثم أضاف أبو هريرة، راوي الحديث، عبارة تفسيرية مدهشة يقول فيها: «إن فرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له حسنات»[٤]، أي أن المجاهد يُعطى أجراً على المرح الذي يمرحه حصانه!!

والآيات والأحاديث في فضل الشهادة والجهاد كثيرة لا يستوعبها هذا المقام..



المقصود أن هذا الحشد الحافل من النصوص القرآنية والنبوية، ومعها تلك السيرة المزدحمة بأخبار الشهادة والجهاد منذ زمن النبي والصحابة والتابعين ومن بعدهم، كل هذا قد جعل أمتنا دفاقة بالمجاهدين فياضة بالشهداء، ولولا هذا كله ما بلغنا السيادة والتفوق والعزة التي كنا فيها لألف سنة تقريباً، لقد بُني هذا المجد كله على صرح من الأشلاء والجماجم التي بذلها أصحابها في سبيل الله!



٣ رواه مالك في الموطأ (١١٩)

٤ البخاري (٢٧٨٥)، مسلم (١٨٧٨).

وقد استطاع المسلمون أن يوازنوا بين أمريْن لا يمكن لغيرهم الموازنة بينهما، فهم قوم يكرهون القتال، كما وصفهم ربهم في القرآن الكريم، ويُقَدِّمون عليه الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبدؤون دعوتهم بالحجة واللسان والبيان، فإذا تعذر ذلك أقدموا على الجهاد إقدام من يحب الموت ويطلبه ويشتاق إليه ويتعشقه! وما ذلك إلا لأنهم علموا أن الخير فيما كتبه الله وقدَّره، وهو العليم، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن هنا فقد كان جهاد الأمة مفارقا للوحشية التي اصطبغت بها حروب الأمم الجاهلية، وكانت أخلاقها عاصمة لها من تكرار سيرة الغزاة السفاحين السفاكين. وفي ذات الوقت لم يكونوا الجبناء المتخاذلين ولا الضعفاء الخوارين!



قال مؤرخان فرنسيان نظرا في تاريخ الإسلام بين تاريخ الأمم: «الإسلام دين أبطال أكثر منه دين شهداء، ففور وفاة الرسول، ستنطلق القوة الهائلة التي كان قد أنشأها لفتح العالم»[٥]، وقولهما: دين شهداء إنما قصدوا به المعنى النصراني للشهادة، معنى الموت المستسلم أمام طواغيت الدنيا لأن ملكوت الرب لن يتحقق إلا في الآخرة.

٥ جان برو وغيوم بيغو، التاريخ الكامل للعالم، ص٩٣.

وكما يقول ولفرد كانتول سميث: «النصرانية أرجأت تحقيق ملكوت الرب إلى الآخرة، على اعتبار أنه مستحيل التحقيق في الحياة الدنيا، لأن الإنسان خاطئ بطبعه، قاصر بطبعه، معوج بطبعه، فلا يمكن أن يستقيم. أما الإسلام فقد اعتبر تحقيق ملكوت الله هو مهمة الإنسان في الحياة الدنيا لا في الآخرة، ولذلك يسعى المسلمون دائما إلى محاولة تطبيقه، وإلى تقويم عجلة التاريخ كلما انحرفت عن الطريق ولو ضحوا بأنفسهم في سبيل ذلك، ومن ثم فإن التضحية في الإسلام له حصيلة إيجابية في واقع الأرض هي محاولة تقويم هذا الواقع وإصلاح ما اعوج منه، بينما التضحية في النصرانية ذات مفهوم سلبي، مؤداه أن يقف النصراني أمام عجلة التاريخ المنحرفة لا ليقومها ولكن لتدوسه وهو واقف مكانه، فهو يفضل أن تدوسه العجلة وتقتله على أن يسمح لها أن تجاوزه وهي منحرفة، ولكنه لا يبذل جهدا لتصحيح مسارها وردها إلى الصراط المستقيم»[٦].



إن هذه المعاني الفكرية المنحوتة التي استخلصها أصحابها بعد البحث والتأمل تتسرب إلى المسلم وتتشربها الجموع المسلمة في سلاسة وعذوبة وروحانية رفيعة في مصادرها الإسلامية، وخذ هذا المثال: لقد كتب ابن النحاس كتابا في فضل الجهاد والشهادة، فأسماه بهذا الاسم الفاخر: «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ومُثير الغرام إلى دار السلام»، وقال في مقدمته:

«ومما يجب اعتقاده أن الأجل محتوم، وأن الرزق مقسوم، وأن ما أخطأ لا يصيب، وأن سهم المنية لكل أحد مصيب، وأن كل نفس ذائقة الموت، وأن ما قدر أزلاً لا يُخْشَى فيه الفوت، وأن الجنة تحت ظلال السيوف،

---

٦ ولفرد كانتول سميث، الإسلام في التاريخ الحديث، ص٩، نقلاً عن: محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص١٠٢.

وأن الرِّيَّ الأعظم في شرب كؤوس الحتوف، وأن من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار، ومن أنفق دينارا كُتِبَ بسبع مائة -وفي رواية- بسبع مائة ألف دينار، وأن الشهداء حقا عند الله من الأحياء، وأن أرواحهم في جوف طير خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء، وأن الشهيد يغفر له من جميع ذنوبه وخطاياه، وأنه يُشَفَّع في سبعين من أهل بيته ومن والاه، وأنه أَمِن يوم القيامة من الفزع الأكبر، وأنه لا يجد كرب الموت ولا هول المحشر، وأنه لا يحس ألم القتل إلا كمس القرصة، وكم للموت على الفراش من سكرة وغصة، وأن الطاعم النائم في الجهاد أفضل من الصائم القائم في سواه، ومن حرس في سبيل الله لا تبصر النارَ عيناه، وأن المرابط يجري له أجر عمله الصالح إلى يوم القيامة، وأن ألف يوم لا تساوي يوما من أيامه، وأن رزقه يجري عليه كالشهيد أبدا لا ينقطع، وأن رباط يومٍ خير من الدنيا وما فيها أجمع... إلى غير ذلك من الفضل الذي لا يضاهى، والخير الذي لا يتناهى. وإذا كان الأمر كذلك فيتعين على كل عاقل التعرض لهذه الرتب وإن كان نيلها مقسوماً، وصرف عمره في طلبها وإن كان منها محروماً».



٣

من نظر في التاريخ عرف بغير كثير ونظر وتعب أن ما نحن فيه الآن من الذلة والضعف إنما كان بسبب التهاون في الجهاد، والتراخي فيه، حتى تركه بالكلية. فما إن وقع التكاسل في باب الجهاد هذا حتى بدأت الأمة يُنتقص من أطرافها، ويدخل عدوها عليها، حتى صرنا إلى هذا الحال الذي نحن فيه.

ولأننا اليوم أمة مستضعفة فلا بد أن تتنوع فينا أنواع القتل، وتتكاثر فينا أصناف الشهداء:

فثمة من يقتل في جهاد يدفع بها الكفرة المحتلين، كما يفعل أهل غزة وأهل فلسطين الميامين وهم يدفعون الصهاينة ويصاولونهم، يوقفون أنفسهم على مهمة حماية الأقصى أن يُهْدَم وأن يُستباح وأن يعود كما كان في أيام الصليبيين حظيرة خنازير، أو كما يراد له أن يكون في خيال اليهود: معبدًا يُساء لله فيه!



وثمة من يقتل في جهاد الجبابرة والطواغيت، عملاء المحتلين الذين يبغضون الدين ويطاردون المؤمنين ويُمَكِّنون في أرض الإسلام للصهاينة والصليبيين والوثنيين، كما يفعل أهل الثورات والجهاد المبارك في الشام وفي غيرها من بلاد الثورات، ومؤخرا التحقت بهم بنجلاديش، والتي نسأل الله أن يجنبهم زلل الثورات العربية وأخطاءها، وأن يجنبهم أولياء طاغيتهم التي أزالوها، فإن من وراء طاغيتهم دولة وثنية حقود كؤود هي الهند التي تعيش الآن عصراً هندوسياً متعصباً!

وثمة من يقتل في جهاد البغاة والصائلين، وأولئك هم عملاء عملاء المحتلين، كما يحدث في السودان الخصب الحبيب، الذي تسلط عليه السفاح المجرم حميدتي، الممدود بحبل شيطان العرب ابن زايد، والذي يقترف من جرائم القتل والاغتصاب والتعذيب ما ليس معروفا أنه كان في تاريخ السودان، إذ أهل السودان من أطيب الناس وأكثرهم هدوءا، وهو ثاني اثنين من بلاد العرب -مع موريتانيا- يمكن أن يعيش فيها رئيس سابق، ولعلها البلد الوحيد التي يعيش فيها قائد انقلاب عسكري إذا فشل انقلابه!! وذلك لشدة ما عند القوم من اللين والتسامح! فأي شيطان هذا الذي أفسد أهل السودان حتى أحدث فيها هذا الحدث العظيم الشنيع؟!

وثمة من يُقتل صابراً محتسباً قابضاً على دينه كما في تركستان الشرقية وأراكان المنسية، وغيرها من البلاد التي اشتدت فيها وطأة الكافرين وانعدم فيها النصير للمؤمنين، ومثلهم في ذلك مثل من يموت في سجون الأنظمة العربية: إما تحت التعذيب، وإما بالترك ينهشه المرض ويؤخر عنه العلاج حتى يموت!

وهؤلاء جميعاً هم ثمن الهزيمة المدفوع، ولعلهم يكونون في ميزان سيئات من تركوا الجهاد قديماً، وإنه لمريع مروع أن يتصور المرء كيف ستكون موازين الذين تركوا الجهاد إذا عاقبهم الله فوضع في موازين سيئاتهم كل هؤلاء القتلى والجرحى والمقهورين!

ولكنهم مع ذلك هم وقود النهضة القادمة، فهم الذين يمهدون السبيل ويعبِّدون الطريق، وفي موازين حسناتهم سائر انتصارات الأمة الآتية، وإنه لأمر هائل عظيم أن يجد الشهيد في ميزان حسناته ملايين الناس الذين اهتدوا لموته، واقتدوا بسيرته، واستفادوا من ثمرة عمله!



لئن كان المرء لا يختار زمانه ولا مكانه، فما له إلا أن ينظر ويتأمل لَم هيَّأه الله وفيمَ أقامه، فلا اعتراض على قدر العليم الخبير، وهل للعبد الجاهل الغرير أن يعلم حكمة الرب الكبير؟!

فلئن لم نختر الحياة بأيدينا، فلا أقل أن نختار نوع الموت الذي ينفعنا ويرفعنا ويُرَقِّينا، فما من الموت مفر ولا مهرب، وليس لنا في هذه الحياة الدنيا -مع الذلة والضعف- لذة ولا مكسب!

ولئن كان المسلم في زمن العزة يملك أن يتخير من الثغور ما يجاهد فيه، فإن المسلم في زمن الذلة هذا لا ينفك عن ثغر يجد نفسه فيه!

ولنا على السابقين فضل الأربعين ضعفاً، وأن نكون مندرجين في أحباب النبي ﷺ الذين اشتاق إليهم صفة ووصفاً!



الشيخ مختار بن العربي مؤمن
عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الموت في سبيل الله
أقصى أمانينا

بسم الله الرحمن الرحيم.. قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

للمسلم منهج حياة وطريق هدى في الوفاة، لا يحيد فيه عن مبدئه ولا يتزحزح عن هدفه ومبتغاه، دليله القرآن، وقدوته الهادي البشير، وعينه على رضا خالقه، رسمت له سبل السعادة في الحياة، ورفرفت له رايات الشهادة عند الممات، ليس جندياً يموت في سبيل هدف مادي، أو تافهاً يعيش لشهوة حيوانية، بل رِجله في الثرى وهمته في الثريا.

الشهداء أحياء



فللمسلم مبتغَى ترنو إليه روحه، وتطمح إليه نفسه، ويعشقه قلبه، وهو تحقيق منهج الدين في الحياة.. قال الحق سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ * وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٥-٥٦].

وتلك أمنية كل صادق بر في الدنيا، وهي رؤية راية الحق ترفرف بالحق في سبيل الحق.

وأما الأخرى فهي الموت في سبيل الله والخلود في الجنات، وتلك أمنية تمناها سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ؛ فلم يتمنّ من الدنيا زينتها، ولا من الشهوات لذتها، وإنما تمنى أن يجاهد في سبيل فيُقتل، ثم يجاهد فيُقتل، لِما للشهادة في سبيل الله من عظيم الدرجات، وطيب المقامات، في روضات الجنات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «والَّذي نَفسي بيدِه، لولا أنَّ رجالًا من المؤمنينَ لا تَطيبُ أنفسُهم أن يتخلَّفوا عنّي، ولا أجِدُ ما أحمِلُهم عليه، ما تخلَّفتُ عَن سريَّةٍ تغزو في سَبيلِ اللهِ، والَّذي نَفسي بيدِه، لوَدِدتُ أنّي أُقتَلُ في سبيلِ اللهِ ثمَّ أحيا، ثمَّ أُقتَلُ ثمَّ أحيا، ثمَّ أُقتَلُ ثمَّ أحيا، ثمَّ أُقتَلُ»[١].

---

١ أخرجه البخاري (٢٧٩٧)، ومسلم (١٨٧٦) باختلاف يسير.

ولولا ذلك ما سبق الجهادُ الحجَّ في الفضيلة؛ فعن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل: أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «إيمانٌ بالله ورسوله»، قِيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[٢].

بل إنَّ الجهاد ذروة سنام الإسلام؛ فعن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «رأس الأمر الإسلام، وعَموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»[٣].

ولما في الجهاد في سبيل الله من المكابدة والمصابرة كان عملُ المجاهد عملاً لا يُستَطاع مثله؛ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلَّني على عملٍ يعدلُ الجهاد، قال: «لا أجدُه».. قال: «هل تستطيعُ إذا خرَج المجاهد أنْ تدخُل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟» قال: ومَن يستطيع ذلك؟[٤]

إن الشهادة اصطفاء من الله لأوليائه الصالحين الصادقين؛ قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

---

٢ البخاري.

٣ أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٤ البخاري.

وقد بيّن القرآن أن الشهداء ليسوا بأموات؛ بل هم أحياء عند ربهم، ونهى أن يقال إنهم ميتون، بل الميت الغافل عن الله البعيد قلبه عن ربه، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وعن مَسْرُوقٍ قال: سَأَلْنَا ابْنَ مَسْعُودٍ عن هذه الآية.. فقال: أَمَّا أَنَا، فَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ، يَعْنِي النبيَّ ﷺ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إلى تِلْكَ القَنَادِيلِ..» الحديثَ إلى آخره.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧٠].

فأيُّ نعيمٍ بعدَ هذا النَّعيم؟! أحياء وليسوا أمواتًا، يُرزَقون ورزقُهم من الله؛ ومن ثَمَّ فهم فرِحُون بما أَعطاهم الله، ويستبشِرون بإخوانهم القادِمين عليهم؛ وذلك لحبِّهم إنزالَهم هذه المنزلة التي أنزَلَهم الله، فلا حزن بل استبشار وفضل ونعيم، كيف وهي جنَّة الخلد التي هي دار الله وهم ضيوفه، ليَجِدُوا ما لا عين رأت، ولا أذن سمعتْ، ولا خطَر على قلب بشَر.



قال القماش في تفسيره: «أي: كالأحياء في الحكم، لا ينقطع ثواب أعمالهم لأنهم قُتلوا لنصرة دين الله، فما دام الدين ظاهراً في الدنيا وأحد يقاتل في سبيل الله فلهم ثواب ذلك لأنهم سنّوا هذه السُّنة ﴿وَلَكِن لَا تَشْعُرُونَ﴾ كيف حالهم في حياتهم، وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية، وإنما هي أمر روحاني لا يُدرَك بالعقل بل بالوحي»[٥].



ويقول الإمام ابن كثيرٍ في تفسيره لهذه الآيات:

«إنَّ أرواح الشُّهَداء كما جاء في صحيح مسلم في حَواصِل طيور خضر، تَسرَح في الجنَّة حيث شاءتْ ثم تَأوِي إلى قَنادِيل معلَّقة تحت العرْش، فاطَّلع عليهم ربك إطلاعةً فقال: ماذا تَبغُون؟ فقالوا: يا ربنا، وأي شيء نَبغِي وقد أعطيَتَنا ما لم تُعطِ أحدًا من خَلقِك؟! ثم عاد عليهم بمثْل هذا، فلمَّا رأَوْا أنهم لا يتركون من أنْ يسألوا قالوا: نُرِيد أن تردَّنا إلى الدار الدنيا فنُقاتِل في سبيلك حتى نُقتَل فيك مرَّةً أخرى؛ لما يرَوْن من ثَواب الشَّهادة، فيقول الرّبُّ -جلَّ جلالُه-: إنِّي كتبتُ أنّهم إليها لا يرجعون»[٦].

وقال سعيد بن جبير: «لمَّا دخَل الشهداء الجنَّةَ ورأَوْا ما فيها من الكَرامَة قالوا: يا ليت إخوانَنا الذين في الدنيا يَعلَمون ما عَرَفناه من الكَرامَة، فإذا شهِدُوا القِتالَ باشَرُوها بأنفسِهم حتى يستشهدوا فيُصِيبوا ما أصابَنا من الخير».

---

٥ تفسير روح البيان (١/٢٠٧)، للشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي رحمه الله، دار إحياء التراث العربى.

٦ تفسير ابن كثير (١/٨٧).

لا تحزنوا يا إخوتي •• إني شهيد المحنة
يا فرحتي بمنيّتي •• اليوم أنهي غربتي
وكرامتـــي بشـــهادتي •• هي فرحتي ومسرتي
في ظل عرش الهنا •• أبغي لقاء أحبتي
معهم أعيش مكرما •• ومفعماً بسعادتي
ولئن صُرعت فذا دمي •• يوم القيامة آيتي
الريح منه عاطر •• واللون لون الوردة



لقد حظي شهداء بدر وأُحد بمنازل الصدق وأهل الكرامة في عالي الجنات، فهذه أم حارثة تسأل رسول الله ﷺ عن ابنها: هل نزل منازل الأبرار فتهنأ بعيشه في رضا، أم نزل منازل الأشقياء فتبكيه وتندب حظه، فعن أنس رضي الله عنه أن أم الرُّبيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سُراقة، أتَت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ألا تُحَدِّثُني عن حارثة (وكان قُتِل يوم بَدْرٍ) فإن كان في الجَنَّة صَبَرْت، وإن كان غير ذلك اجْتَهَدْتُ عليه في البُكَاء، فقال: «يا أم حارثة، إنها جِنَان في الجنة، وإن ابنَك أصاب الفِردَوْس الأعلى»[٧].

٧ رواه البخاري.

بل إن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حزن على والده عبد الله بن حرام حزناً يفتّت الأكباد -وكان من شهداء أحد- قال: «لَقِيَني رسولُ الله ﷺ وأنا مُهْتَمٌّ، فقال: «ما لي أراك منكسراً؟» قلتُ: اسْتُشْهِدَ أبي يومَ أُحُد، وترك عيالاً ودَيْناً، فقال: «ألا أُبَشِّرُكَ بما لقي الله به أباك»؟ قلتُ: بلى، قال: «ما كلَّم الله أحداً قطُّ إلا من وراء حجاب، وإنه أحْيَى أباك، فكلَّمه كِفاحاً، فقال: يا عبدي، تمنَّ عليَّ أُعطِكَ، قال: يا ربِّ، تحييني فأُقتل ثانية، قال سبحانه: قد سبق مني أنَّهم إليها لا يرجعون»، فنزلت: ﴿ولَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]»[٨].

كفاحاً: يقال: كلمته كفاحاً، أي: مواجهة.. ليس بيننا حجاب.

فأي فضل بعد هذا؟ وأي أنس يجده غيرهم من الأموات يعادل تلك البشائر.

فضل الشهادة في سبيل الله تعالى

لقد حاز الشهيد ما تمناه من الكرامات الربانية، وسعد بما يلقاه من البشائر الهنية، فيا سعد من قُتل في سبيل الله أو مات مهاجراً ابتغاء مرضات الله!



وإليكم أيها الفضلاء هذه الفضائل التي يحوزُها الشهيدُ:

- فقد قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ستُّ خِصال: «يُغفر له في أوَّل دفعة، ويرى مقعده من الجنَّة، ويُجار من

٨ أخرجه الترمذي.

عذاب القبر، ويأمن من الفزَع الأكبر، ويُوضَع على رأسه تاجُ الوقار، الياقوتة منها خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجةً من الحور العين، ويُشَفَّعُ في سبعين من أقاربه»[9].

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يجدُ الشهيد من مسّ القتل إلا كما يجدُ أحدكم من مسِّ القرصة»[10].

- وإذا قُتِل الشهيدُ لم ينقطعْ عمله الصالح، بل يزيدُ ويتضاعف؛ فعند الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كلُّ ميتٍ يُختَم على عمله إلا الذي مات مُرابِطًا في سبيل الله، فإنَّه يُنمَى له عملُه إلى يوم القيامة، ويأمنُ من فتنة القبر»[11].



فهنيئاً لمن وقفوا في ميادين الوغى يذودون عن حِمى الدين وبيَضة الشرع، وحريم الأمة الطاهر، الشهادة وما يلقونه من الكرامات الإلهية، والنفحات القدسية، فاللهم تقبّل شهداء فلسطين وكل مَن قُتل في سبيل إعلاء كلمتك.

---

٩ أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

١٠ أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

١١ أخرجه الترمذي.



د. حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

هنيئًا لك الشهادة يا هنيّة

الشهيد البطل القائد إسماعيل هنية والذي وافته المنية -خير منية- أو قل: الأمنية.. التي كان يتمناها ويعشقها، بل ويطلبها كل صادق مع الله تعالى، وكل محب لله ورسوله ﷺ القائل: «من سأل الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بلَّغَه اللَّهُ مَنازِلَ الشُّهَداءِ، وإنْ مَاتَ علَى فِرَاشِهِ»[1]. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، ولو لم تُصِبه»[2].

وطلب الشهادة يكون من تحديث النفس بالغزو، وإلا كيف يكون طلب الشهادة بغير الغزو، وقد حثنا نبينا الكريم ﷺ على الغزو وتحديث النفس به فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «من مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»[3].

---

1 رواه مسلم، برقم ١٩٠٩.

2 رواه مسلم، برقم ١٩٠٨.

3 رواه مسلم، برقم ١٩١٠.

وما كان إسماعيل هنية إلا غازيًا في سبيل الله تعالى بنفسه وماله وأهله وولده، كما هو أغلب حال شعب غزة في زمننا هذا، والرجل كان طالبًا للشهادة بصدق -نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله تعالى- وما استراح إلا بعد نوالها، بل وجاءته أغلى شهادة على يد أنجس وأخبث أهل الأرض، وهم اليهود الذين تعقبوه حتى قتلوه، قتلهم الله تعالى شر قتلة!

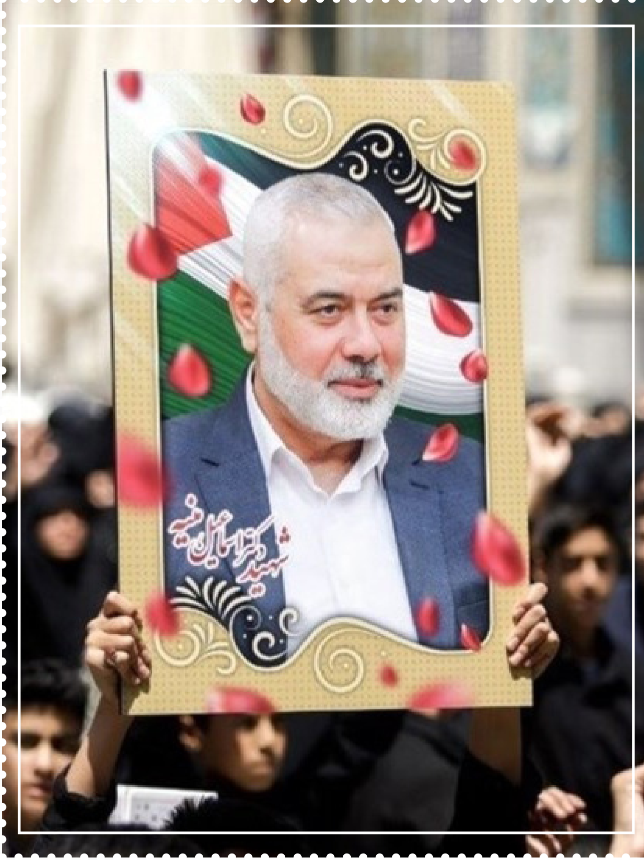
هنية مع سيد الشهداء حمزة



بل ونحسب أن هنية ليس فقط شهيدًا عاديًا بل هو في منزلة سيد الشهداء حمزة -رضي الله تعالى عنه- ولم لا؟ ألم يخبرنا بذلك رسول الله ﷺ حين قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله»[٤]. وأبو العبد هنية لم يقُم فقط لسلطان جائر، بل قام لسلاطين جائرين كثيرين في هذه الأمة، نصحهم وأمرهم ونهاهم، وكشف عورتهم، وفضح سوأتهم، بل قام أيضًا لدول فاجرة كافرة مغتصبة، فجاهدها وصدها وحاربها، ولم يخشَ في الله لومة لائم، بل قام قومة صادقة لله تعالى، لأجل تحرير بلاده وتحرير المسجد الأقصى المبارك، بل قام بواجب الدفاع عن هذه الأمة في زمن عزّ فيه من يدافع عنها، ونحسبه مجاهدًا في زمن أصبحت فيه كلمة الجهاد جريمة عند الكفار والمنافقين.

---

٤ رواه الحاكم وصححه، والخطيب، وصححه الألباني.



ومن هنا نقول للشهيد هنية: هنيئًا لك جوار سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- فلئن كان حمزة قد استشهد وهو يقاتل المشركين في أُحد، فلقد استشهدتَّ أنت وأنت تقاتل مَن هم شر وأخبث من مشركي مكة، وهم اليهود الذين قدمهم الله على المشركين في عداوتهم وبغضهم للمؤمنين، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، فلئن كان من رجل يستحق مشاركة حمزة في سيادة الشهداء، فأنت من أوائل الفائزين بها فهنيئًا لك يا هنية.

جنازة الشهيد هنية

وجاءت جنازة البطل الشهيد هنية، والتي أقيمت في الدوحة -عاصمة قطر- لتكون أيضًا خير شاهد على شهادة البطل هنية، تلك الجنازة التي هرع إليها العلماء والدعاة وأهل الدين من كل مكان، وجاء المجاهدون ودعاة الحق من كل حدب وصوب، وجاءت وفود الدول الصادقة تترا للصلاة عليه، مثل أفغانستان وتركيا وغيرها من الدول، وهنا نقول لقطر حكومة وشعبًا، حاكمًا ورعية، شكرًا وألف شكر، فكما عهدناكم تقفون بصدق مع القضية، وجدناكم تقفون بصدق مع الشهيد هنية، بل وتعتبرونه شهيدكم وفقيدكم. وهو كذلك حقًا، لأنه شهيد الأمة الحية، وشهيد الأمة الصادقة مع الله تعالى، وشهيد كل الأحرار في الأمة، بل في العالم أجمع.

ومن دلائل شهادته الصادقة -رحمه الله- في الجنازة أيضًا، أنها خلت من المنافقين والمثبطين ودعاة الهوى المارقين، وخلت من الحكام الكاذبين بل والكافرين، فلا تمثيل لدول عربية تزعم ليل نهار أنها تناصر القضية، ويا للعجب! دول تدعي نصرة القضية ولا تحضر للصلاة على هنية! بل وهم وأذنابهم يشمتون في موته، ولا عجب فهؤلاء يحضرون جنازات أمثالهم وأشباههم من أبناء القردة والخنازير مثل شارون وبيريز وغيرهم، لكن الله تعالى طهّر جنازة هنية بأن خلت من أمثال هؤلاء، فهي جنازة بطل شهيد، يحضرها العلماء والصادقون وفقط.

هنية والسنوار

هنية والسنوار وجهان لعملة واحدة، الشهيد بطل مجاهد وخليفته بطل مجاهد، الشهيد عاش ومات على العهد وخليفته نراه على العهد -نحسبه كذلك ونسأل الله له الثبات- الشهيد كان سياسيًا محنكًا وخليفته سياسيًا محنكًا، الشهيد من قدامى الرجال في (حماس) وخليفته



كذلك؛ فهما شريكا الدرب من أيامهما الأولى في حركة المقاومة الإسلامية -حماس- فضلًا عن اشتراكهما في الغاية والأهداف وكثير من الوسائل، والأكثر ما بينهما من الحب الحقيقي في الله تعالى، وقد تختلف قدرات كل منهما عن أخيه، فلربما كان هنية أكثر في الناحية السياسية، لكن أبا إبراهيم السنوار أشد بأسًا

وأكثر حنكة من الناحية العسكرية، ومن جميل القدر أن السنوار رُزق قبل أيام بمولود ذكرٍ فقام بتسميته «إسماعيل»، وهو بذلك يحفظ عهد أخيه الشهيد، ويسمي إسماعيل بعد ابنه الأكبر إبراهيم.

حماس والقسام بعد هنية



إن «حماس» بمرجعيتها الإسلامية وتنظيمها القوي المترابط ومجلس الشورى الأساسي فيها، يجعلها لا تتأثر باستشهاد قائد وإن كان كبيرًا مثل الشهيد إسماعيل هنية، وما «القسّام» إلا ذراعها العسكري الذي يرد موردها ويصدر عن رأيها، وقد يظن اليهود أنهم بقتل قائد مثل الشهيد هنية قد يضعفون آخرين، أو يرهبون بعضهم، محاولة منهم لتحقيق مكاسب ما، وما يعلمون أن المسلمين الحق إذا استشهد قائدهم ازدادوا حماسًا، وحبًا للشهادة، وزيادة في الانتقام من عدوهم، وأصبح كل همهم الثأر له، والأكثر من ذلك هو ولادة عشرات القيادات بعده، كلهم يتمنى أن يسير على دربه، وأن يقتفي أثره.

وهذا ما علّمناه رسول الله ﷺ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ، فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ». قَالَ عَبْدُ اللهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلَى، وَوَجَدْنَا فِيمَا أقبل من جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ[٥].

فلما قُتل الثلاثة العظماء، اختار المسلمون خالد بن الوليد فكتب الله النصر على يديه، بل وسماه رسول الله ﷺ: «سيف الله المسلول»، وهو الذي دوخ المشركين والمرتدين وفتح الله على يديه الفتوحات العظيمة.. إنها أمة ولّادة.

وما حماس بعد هنية إلا أصلب عودًا وأكثر ترابطًا، وأشد على أعداء الله تعالى، وما القسام بعد هنية إلا أشد إصرارًا على الثأر والانتقام له ممن قتلوه، ولقد أكرمهم الله تعالى بقيادة السنوار، فلعل الله تعالى يفتح على يديه.



إيران واستشهاد هنية

وبما أن لحكومة إيران سوابق سيئة مع أهل السنة، كما في العراق وسوريا واليمن ولبنان وغيرها، بل ولها مجازر مروعة ضد المسلمين العزل في هذه البلاد، فضلًا عما فعلته مع أهل السنة في إيران نفسها من إعدامات وقتل وسجن وتعذيب وتضييق، مما لا يخفى على أحد. فقد يلقي البعض على إيران كل مصيبة، وينسون أن إيران لها بعض الحسنات مع أهل فلسطين، بغض النظر عن نيتها في ذلك إلا أنها أمدت حماس والقسام بالسلاح والتدريب وغير ذلك، وناصرت قضية فلسطين ظاهريًا، وشاركت

٥ صحيح البخاري، رقم ٤٢٦١.

ببعض أذرعها في معركة طوفان الأقصى، في وقت تخلت فيه كل الدول التي تدعي السُّنية -والسنية منهم براء- عن فلسطين وأهلها، بل وقفت صراحة ضد طوفان الأقصى، ودافعت عن الكيان الصهيوني بكل قوتها، وحاصرت أهل غزة وجوعتهم حتى الموت، مثل مصر والأردن والإمارات -شيطان العرب- والسعودية والمغرب والبحرين وغيرهم، أقصد في ذلك الحكومات لا الشعوب المغلوبة على أمرها أو المغيبة عن القضية، وليس ذلك بعذر للشعوب التي وجب عليها الثورة على هؤلاء الحكام المتصهينين لخلعهم وتنصيب حكام مسلمين بحق بدلًا منهم.



ومن هنا فالمتصيدون الأخطاء لإيران، أو من يريدون الفتنة بين فئات المسلمين، أو من يريدون إثبات نظريتهم بخيانة إيران للقضية، ينسبون قتل الشهيد هنية لإيران، من باب الانتصار لرأيهم في إيران، ونحن لا ننفي عن بعض الإيرانيين العمالة التامة للصهاينة كما هو الحال في كثير من بلادنا، وهؤلاء جواسيس للصهيونية وعملاء لها يشاركونها في كل مصيبة، بما يخالف حكومة إيران صاحبة المشروع الرافضي والذي يتعارض مع المشروع الصهيوني في المنطقة، ولكن هل يُعقل أن إيران كحكومة تُقدِم على خطوة هي تعلم أن وراءها حربًا إقليمية بل ربما عالمية تكون إيران أول وقودها؟! بالطبع لا.

لكن يُعقل أن الصهاينة هم من دبروا ذلك وخاصة المتطرفين منهم وعلى رأسهم (النتن ياهو) وذلك لقتل فرص الهدنة وكذلك لتوريط أمريكا في الحرب، وذلك من أجل بقاء هذه الحكومة في السلطة، لأن نتنياهو مستعد لعمل أي شيء بشرط أن يبقى والمتطرفون حوله على رأس منظومة الحكم في البلاد.

والذي يجب أن يدركه الجميع أن إيران صاحبة مشروع تعمل له بكل طاقاتها، وتسخر له كل إمكاناتها للسيطرة على كامل الشرق الأوسط، وتعادي فيه الصهاينة كما تعادي أهل السنة، لكنها تلعب بالأوراق التي ترى أنها تكسب بها، وآلمني وآلم كل حر سؤال الدهر أين مشروع السنة؟ ومتى سيقوم؟ ومن يقوم عليه ويهتم به؟ حتى يملأ تلك الفراغات في الساحة الإقليمية والعالمية، وعساه يكون قريبًا بإذن الله تعالى.



من قتل هنية إذن؟

سؤال سهل، لكن الإجابة عليه صعبة ومرة مرارة العلقم، من قتل بطلًا مغوارًا يدافع عن أرض المسلمين ومقدساتهم؟ هل هي إيران؟ العقل والمنطق يقولان: لا. إذن هل هي إسرائيل؟ العقل والمنطق يقولان: نعم، لكن شكلًا لا حقيقة.

أما الحقيقة المُرة أن مَن قتل هنية هم قادة العرب والمسلمين، إي والله الذي لا إله غيره هم بعينهم لا غيرهم، قتلوه ساعة خذلوه، قاتلوه ساعة تخلوا عنه جهارًا نهارًا، قتلوه ساعة خانوه وتعاملوا مع

عدوه، قتلوه ساعة وصموه بالإرهاب، قتلوه عندما حاصروه وطاردوه وألجأوه للشرق والغرب، قتلوه حينما اضطروه للتعامل مع الصفويين، قتلوه حينما باعوه وباعوا كل فلسطين بما فيها الأقصى، باعوهم للصهاينة ولم يقبضوا الثمن، بل باعوهم ودفعوا عليهم الثمن لليهود، يا لذل أمة ويا لتياستها وبلاهتها حين تجد قاتلها، وتتآمر على قتل من يدافع عنها وعن كرامتها!

وداعًا والملتقى الجنة بإذن الله تعالى، مع الشيخ ياسين والرنتيسي وعيّاش، ورجال كُثُر من أهل الجهاد الحر، بل مع ياسر وحمزة ومصعب وزيد وجعفر وابن رواحة وعمر وعثمان وعلي، ومع كل الشهداء الأبرار من هذه الأمة.

وداعًا هنية، وداعًا أيها البطل

وداعاً أيها البطل •• لفقدك تدمع المُقَلُ
بقاع الأرض قد ندبت •• فراقك واشتكى الطللُ
لئن نائت بنا الأجساد •• فالأرواح تتصلُ
ففي الدنيا تلاقينا •• وفي الأخرى لنا الأملُ
فنسأل ربنا المولى •• وفي الأسحار نبتهلُ
بأن نلقاك في فرح •• بدارٍ ما بها مللُ
بجنات وروضات •• بها الأنهار والحللُ
بها الحور تنادينا •• بصوت ما له مثلُ
بها الأحباب قاطبة •• كذا الأصحاب والرسلُ
بها أبطال أمتنا •• بها شهداؤنا الأُولُ
فيا مَن قد سبقت إلى •• جنان الخلد ترتحلُ
هنيئاً ما ظفرت به •• هنيئاً أيها البطلُ.



د. رجب زكي عثمان

عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ



إسماعيل هنية
على درب الشهداء

الحمد لله الشهيد على عباده في الدنيا ويوم القيامة والصلاة والسلام على النبي الذي رفع عن الأمة الظلام والظلامة، وعلى آله وصحبه، ما سار الركبان نحو الحجاز أو تهامة. أما بعد:

فإن الحزن يخيّم على النفوس، ويُطبِق على القلوب، لما يصيب إخواننا في غزة من الضر، وينزل بهم من البأس. ثم أصابتنا طعنة نجلاء في صدورنا، لـمّا علِمنا أن الأسد الهصور قد ارتقى شهيداً، وأن إسماعيل هنيّة رحمه الله قد خُتم له بخاتمة ياسين والرنتيسي، في قائمة طويلة من تيجان رؤوس الأمة التي تمتد إلى حمزة وعكرمة.

وفي ظل هذا العجز عن نصرة إخواننا، والخذلان لهم الذي يحيط بنا من كل جانب، فإننا نفزع إلى سيَر هؤلاء الشهداء العظام الذين بذلوا المهَج في سبيل هذا الدين؛ لأن في سِيَرهم تسليةً عن الحزن، وتنفيساً عن الهَم، وفي أخبارهم شحذاً للهمم، وشحناً للعزائم، وفي قصصهم عبراً ودروساً وفوائد.

غسيل الملائكة



ومن هؤلاء السادة صحابيّ جليل نال الشهادة ولُقّب بلقب فريد، سنستعرض في هذا المقال قصته ونطوف حول حكايته، اسمه: حنظلة بن أبي عامر، ولقبه: غسيل الملائكة.

قال الواقدي: «وكان حنظلة بن أبي عامر تزوّج جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول، فأُدخلت عليه في الليلة التي في صُبحها قتال أُحد، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذِن له، فلما صلى بالصبح غدا يريد رسول الله ﷺ ولزمته جميلة فعاد فكان معها، فأجنب منها ثم أراد الخروج، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقيل لها بعد: لم أشهدتِ عليه؟ قالت: رأيتُ كأن السماء فُرجت فدخل فيها حنظلة ثم أُطبقت! فقلتُ هذه الشهادة. فأشهدتْ عليه أنه قد دخل بها».

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث، حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول

الله ﷺ: «إن صاحبكم تغسله الملائكة». فسألوا صاحبته (زوجته) فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة (الصوت المفزع، وهو منادي الجهاد.. سمع منادي النبي ﷺ يدعو للخروج للجهاد) وهو جُنُب، فقال رسول الله ﷺ لذلك: «غسّلته الملائكة»[1].

وذكر السهيلي نقلاً عن الواقدي وغيره أن حنظلة رضي الله عنه بحث عنه في القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء، وليس بقربه ماء، تصديقاً لقوله ﷺ: «إن صاحبكم تغسله الملائكة». وتغسيل الملائكة لحنظلة رضي الله عنه من باب الفضل والكرامة له، قال المناوي: «وكفى (غسل الملائكة لحنظلة) بهذا شرفاً، وذا لا ينافيه الأخبار الناهية عن غسل الشهيد، لأن النهي وقع للمكلفين من بني آدم».



وإن مما يستوقف المرء في قصة حنظلة رضي الله عنه أن البيئة العائلية المحيطة به كانت مضادة للدعوة محاربة للإسلام، فأبوه أبو عامر كان يُلقب في الجاهلية بالراهب لتنسّكه طمعاً في أن يكون نبي آخر الزمان، لكن لما بُعث رسول الله ﷺ حسده وعاداه وقال للمشركين في غزوة أحد: إن قومي إذا رأوني أطاعوني ومالوا إليّ، فلما نادى عليهم: أنا أبو عامر الراهب، أجابوه: بل سمّاكَ رسول الله ﷺ الفاسق. فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر. وكان يحفر الحفر في غزوة أحد ليقع فيها رسول الله ﷺ، ووقع في أحدها فكُسرت رَباعيته، وشُج رأسه، وسال دمه الشريف.

---

١ رواه الحاكم والبيهقي وحسّنه الألباني.



فحنظلة رضى الله عنه انتزع نفسه من سلطان وهيمنة أبيه في سبيل الحق؛ بل إنه حارب أباه، وقاتل المشركين في غزوة أُحد فكان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً.

ثم إن زوجته هي جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، وعبد الله بن أبي بن سلول هو رأس المنافقين، وهو الذي انخذل بثلث الجيش يوم أحد؛ فحنظلة من أسرة شريفة وصاهر أسرة شريفة، كان أبوه يعد نفسه لرئاسة يثرب الدينية، وكان حموه يهيئ نفسه لرئاستها السياسية، حتى أن قومه صنعوا له تاجاً، ليملكوه عليهم. ثم جاء الإسلام فشرق به الرجلان، لأنه حطم أحلامهم، ودمر طموحاتهم؛ فناصبوا رسول الله ﷺ العداء، وحاكوا ضده المؤامرات.

دروس من سيرة حنظلة رضي الله عنه

لم يبالِ حنظلة رضي الله عنه بكل هذا، وإنما ملك عليه الإسلام لبه، وخالطت بشاشة الإيمان قلبه، فقدّم روحه لربه راضياً، راجياً ما عنده. وفي هذا درس عظيم لنا هو أن ننتزع أنفسنا من براثن الجاهلية، وننفض عنا وهن الدنيا، ونستشرف لتلك المنزلة السامقة، والمكانة العالية.

ثم نرى الدرس الثاني العجيب في قصة حنظلة، والذي لا يقوى عليه إلا مَن بلغ في الإيمان ذروة السنام، وأعلى المقام.. رجل شاب موفور القوة والفتوة، تضطرم في داخله الشهوة، وتشتعل الرغبة، تزُف

إليه عروس مخدرة فاتنة جميلة كاسمها، فلا ينالها سوى ليلة واحدة، وفي صبيحة تلك الليلة، ينتزع نفسه من الفراش الدافئ الوثير، ومن أحضان الزوجة الحسناء الناعمة. ومن شوقه إلى نصرة الدين والذود عن الإسلام وفداء النبيﷺ، يسارع إلى الجهاد ويبادر إلى القتال، وينسى جنابته، ويمضي دون أن يتذكر الغسل من الجنابة.

ويلقي بنفسه في خضم المعركة، وأتون الحرب تنهشه السيوف، وتعضه الرماح، وتخترق بدنه السهام؛ فيُقْبل ولا يُدْبر، ويهجم ولا يحجم. ووالده على الجانب الآخر يحرض ويحفر الحفر، فلا يتردد لحظة، ولو قابل أباه في المعركة لقطف رأسه، وخطف روحه. ثم تكون خاتمته أن يثب على صدر قائد المشركين أبي سفيان بن حرب، ويهمّ بنحره؛ فيراه الأسود بن شعوب فيعاجله برمحه، وينقذ أبا سفيان من براثن هذا الهزبر الفاتك.

إسماعيل هنية.. على درب حنظلة

إن الشهيد الأسد إسماعيل هنية رحمه الله تعالى، سار على نفس درب حنظلة رضي الله عنه؛ فالرجل كان يعمل للإسلام، ويذود عن حياض القدس، في بيئة معادية تضغط عليه لصالح العدو، حتى مصر.. الدولة الجارة القريبة، والتي ينتظر منها الولاء والنصرة اصطفّت في جانب العدو، فأي نفس عظيمة كانت نفس إسماعيل، وأي همة عالية كانت همته.



 **وقد شرفت بلقاء هذا البطل مرتين:**

الأولى: في بيته، في مخيم الشاطئ؛ حيث كنتُ في زمرة من العلماء ألقيت في هذا اللقاء كلمة، ولا أنسى دماثة خلقه، ورقة طبعه، وكرمه البالغ، وحفاوته وبشاشته.

الثانية: المؤتمر العالمي لاتحاد علماء المسلمين في قطر، وقد ألقى فيه الشهيد على عادته كلمة قوية بليغة مؤثرة.

وأحب أن أختم هذا المقال بأن أقول: لا عذر للأمة في ترك نصرة أهل غزة، وعلى كل مسلم أن يبذل النفس والنفيس لاستنقاذ إخوانه من تلك المجازر المروعة، والمذابح الرهيبة، وعلينا أن نبدع شتى الطرق، ونبتكر مختلف الوسائل لنرفد إخواننا بكل ما يحتاجون إليه، وندعمهم بسائر ما يعينهم على الصمود والثبات في وجه البطش، الذي اجتمع عليهم فيه قوى الشر وأهل الباطل من سائر الأقطار، حتى أرسلت أمريكا حاملات طائراتها، وبارجاتها.

إن وصمة العار، ولعنات الأجيال ستلحق كل المتأسلمين الذين يدّعون الانتساب إلى الإسلام، ثم هم يقفون موقف المتفرج، يشاهدون جراح إخوانهم النازفة الدامية، ولا يحركون ساكناً، ولا يغيثون آهات الثكالى واليتامى.

فضلاً عمن اصطف إلى جانب الأعداء، وانحاز إلى معسكرهم، فهؤلاء ليسوا منا، ولسنا منهم.

وإن قافلة شهداء غزة تجأر إلى ربها تشكو خذلان الأمة لها، وتخليهم عن نصرتها.. فاللهم غفراً لنا على عجزنا وتقصيرنا.



عبد القادر المهدي أبو سنيج
باحث شرعي



تشابهت قلوبهم

من عجيب أمر طائفة المنافقين المخذلين أن من يتصدر للحديث هم من ينسب إلى «العلم والدعوة»، وذلك بدفاعهم عن العدو وتفسيقهم لأهل الرباط الذين وصف النبي ﷺ مكانهم وأفعالهم، وأفعال من يناوئهم ويخذلهم، فعرفنا به صفة أهل الرباط وأهل التثبيط وأهل المقاومة والمجاهدة، وعرفنا مَن أهل القعود الذين أثاروا شبهات حكاها القرآن لتشملهم كما شملت مَن سبقهم ومَن يأتي بعدهم، وهذه آيات القرآن ما عليك إلا تلاوتها وتدبر معانيها لترى المواقف وأحكامها وأهلها:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ * ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ * يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ * ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٧٣].

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾، وقارن ذلك بما يقوله دعاة التطبيع ومروّجو كذبة السلام والتعايش، والتي أثبتت «السنون الخداعات» أنها دعاوى الوهم والكذب والفجور في مدة تقارب المائة عام، كلها قتل وتهجير واعتقال وهدم ونفي وإبعاد واستيلاء واحتلال ودماء وأشلاء وحصار وتجويع ونهب وسلب.



ولو كان أهل الرباط في الشام وفلسطين وغزة غير مسلمين لوجب علينا نصرتهم؛ لأنهم مظلومون وقع عليهم احتلال وعدوان وظلم لا ينكره أحد ولم ولن ينكره أحد، فكيف وهم مسلمون وقع عليهم الاحتلال والتشريد والهدم والإخراج من ديارهم بالقوة ويقتلون ويُعتقلون ويُطارَدون؟

بل كيف نتركهم وهم في أرض المحشر والمنشر أرض الرباط أُولى القبلتين وثالث الحرمين، الأرض التي باركها الله وما حولها؟ ثم منذ متى تُحرر الأوطان بالقعود وطاعة مَن يوالي أعداء الله ويعادي أولياء الله؟

الجهاد في غزة واجب شرعي



وجهاد أهل الرباط في غزة جهاد شرعي مقطوع به، اجتمعت فيه دوافع قتال العدو التي حكاها القرآن ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ ﴿أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾، وفي الحديث: جاء يريد أخذ مالي.. قال ﷺ: «لا تعطِه». أرأيت إن قاتلني؟ قال ﷺ: «فقاتله...» الحديث.

ومن البليّة أن نَسوق أدلة لنثبت وجوب الجهاد ضد اليهود لأناس يتحدثون بالقرآن والسُّنة! ومما يجعل الحليم حيران أنه على مدى عقود نجد مئات من الكتب والرسائل العلمية وآلاف من الخطب والدروس والمقالات، موضوعها «الولاء والبراء»، وعندما جد الجد وجدنا طائفة من بني جلدتنا يتحدثون بألسنتنا (دعاة على أبواب جهنم) كان لهم سهم في هذه الكتب والدروس والخطب، أصبحوا بين رجلين إما مثبط، أو ساكت وهو بارد القلب، وكما قال ابن القيم رحمه الله:

«ومن له خبرة بما بَعث الله به رسوله ﷺ، وبما كان عليه هو وأصحابه، رأى أن أكثر من يُشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا، وأيّ دين وأيّ خير فيمن يرى محارم الله تُنتهك وحدوده تُضاع ودينه يُترك وسُنة رسوله ﷺ يُرغب عنها، وهو بارد القلب وساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بليّة الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمتَ لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن المتلمظ؟ ولو نُوْزِعَ في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بَذَل وتبَذل وجَدَّ واجتهد واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بُلوا في الدنيا بأعظم بليّة تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمَل»[١].



ومن أسفٍ أن هؤلاء تعدوا حدود الله وتجرؤوا على دينه لتسويغ الطغيان والظلم والخيانة، والتماس أدلة لها من الشرع الشريف، والله عز وجل أمرَنا بالطهارة قبل مس المصحف فالتمس هؤلاء الأدلة بقلوب مدنسة بالطغيان والذلة والخوف من الناس وخشيتهم، أشد من خوف الله، وهذه قلوب ملوثة بالخوف من الخلق وحب الدنيا وكراهية الموت؛ فلا تحسن الاجتهاد في الدليل وإنما تحسن الانبطاح الذليل.

---

١ إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٢١، ط. العلمية).

وهؤلاء المعوّقون يطالبون الأمة بالسكوت على قتل إخواننا وتدنيس مقدساتنا طاعةً للطغاة، ويستدلّون بآيات القرآن على الطغيان والخذلان بجعل الولاء والبراء للطغاة ومَن رضيهم وتابعهم، وهو من أصول الإيمان بالله وكماله بالبراءة من الكفر والفسوق والعصيان والظلم والفساد والطغيان.

وما أجمل تلك العبارة التي سطرها أبو الوفاء بن عقيل (ت: ٥١٣هـ)! قائلاً: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إِلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا انْظُرْ إِلَى مُوَاطَأَتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بُرُودَةِ الدِّينِ فِي الْقَلْبِ»[٢].

وبالرغم من كل هذا تجد طائفة انسلخت من دينها وتولت قوماً غضب الله عليهم، فأصبحوا يضاهئون قول الذين كفروا لأنهم تشابهت قلوبهم، بل أصبح المغضوب عليهم يأتمون بهم وينتظرون تصريحاتهم ليقولوا بقولهم ويرددوا شبهاتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مرض تشابه القلوب



ومرض التشابه يحمل صاحبه على موافقة أهل الكفر والباطل واستحسان أفعالهم وأقوالهم، والإعجاب بها وتبنيها وزخرفتها، والدفاع عنها ونشرها. فهو داء قبيح في التصور والعنت

---

٢ الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٣٧).

والضلال والكذب والزور والفجور، وصاحبه يصبح عوناً للظالم في طغيانه وإفساده، ومتعاوناً على الإثم والعدوان، وفِعْله إغراءً للعدو باستمرار عدوانه، مع خذلان المستضعفين والمظلومين.

فهو مرض خطره عظيم وأثره فادح؛ فهو محاربة للأمة ووقوف في صف أعدائها وتكثير سواد أهل الكفر والظلم والباطل، وهو من أخطر الأساليب في محاولة الإسقاط الاجتماعي للدعوة الإسلامية، بتحريض العناصر الفاسدة على التشبه بالمظهر الإسلامي مع تحريفه، بحيث تسقط مهابة هذا المظهر من نفوس الناس، ويضيع تقديرهم لسماتهم وشكلهم.



ولذا كانت دراسة حالة التشبه من الناحية النفسية دراسة مباشرة لمفهوم «الولاء».. فالتشبه حالة تنشأ في نفس إنسان تجاه إنسان آخر، دفعه إلى ذلك الانبهار به، وتمنى أن يكون له نفس مكانته، فإنه عندئذ يحاول التوحد مع شخصيته، ولكنه لا يملك في محاولته إلا الصورة والمظهر، ولقد كان لهذه الظاهرة وجوداً تاريخياً واسعاً في تاريخ الدعوة الإسلامية حتى آخر مراحلها[٣].

ثم ينتقل هذا المرض ليغزو الفريسة الضعيفة المريضة المولعة بتقليد مفترسها، والمعجبة بكل قبيح من أفعال طاغوتها المعادي لها، وهو في كل مراحل ظلمه يعلم أن الأمة تُهزم من داخلها، وأن هدم البنيان من أساسه ومن داخله، فيستخدمهم وهو يحتقرهم ويعملون له وهو لا يعرفهم.

---

٣ التصور السياسي للحركة الإسلامية ص١١-١٦، في النفس والدعوة ص٢٩-٣٢.

وقد سُئل أحد هؤلاء المجرمين: من هو أحقر رجل واجهته خلال الحرب؟ فكان جوابه: «الرجل الذي أعانني على احتلال بلده».

والمريض بالتشبه ترك عقله وقلبه للاحتلال والاختلال والاعتلال، لمن يدنسها بعقيدة دنيئة ويغذيها بالخروج على الدين والأخلاق والقيم واللغة، تركوا عقيدتهم وأصول دينهم ولم يلتفتوا لقبح أفعالهم؛ فقد تشابهت قلوبهم!

وعلماء السوء الذين ينهون الناس عن قتال العدو المعتدي المفسد، ويسمُّون كبيرة القعود عن الجهاد «مقاومة سلمية»، أو الذين يقولون إنَّ قتال اليهود المعتدين دمار وهلاك، ومحرقة وفتنة، تشابهت قلوبهم مع قلوب أسلافهم، الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

وقد يظن أن المصابين بداء التشابه يفعلون ذلك رغبةً بالإغراء بالمال أو المناصب، أو رهبةً بالضغوط والتخويف، وهذا يحدث لكن هناك طائفة من هؤلاء المرضى يحاربون أمتهم تبرعاً، ويشقّون عصا وحدتها تطوعاً، ويثبّطون الناس بغير طلب ولا ترغيب أو ترهيب! وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] قول السدي عن أشياخه: أن بلعم أتى إلى قومه متبرّعاً[٤].

فهؤلاء المجرمون، أهل الزيغ مرضى الخيانة والدنية، يتبرّعون بالخيانة ويتطوعون بالعمالة، والتاريخ شاهد على أن هؤلاء أموات وهم أحياء؛ فلا شرفاً حازوا ولا مكانة ولا قيمة، وإنما يُذكرون بالسوء واللعنات، وتطوى صفحتهم السوداء بالخزي والعار والذل والمهانة.. والله لا يهدي كيد الخائنين.

---

٤ زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٧٠).



د. إسماعيل محمد رفعت
عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

هل الإسلام مُسالِم دوماً؟

لم يحصر الإسلام معاييره للنصر في المعارك في المحور العسكري للمعركة؛ بل جعل فلسفتها مبنية على محورين: ميداني وقيمي، والنصر الميداني منضبط بهدف: كف أذى العدو المحارب وليس استهداف روحه، ولا سلب عتاده، وغنيمة أرضه ودياره.

في الجانب القيمي فإن التمسك بالمبادئ والقيم، حتى مع حصول هزيمة ميدانية، هو عين النصر الذي لا يخسره مسلم! وجعل الإسلام عين المسلم لا تغفل ميدان المبادئ، ولا تشغله رغبة الانتقام أو الانتصار عن الحفاظ عليها وألا يتقدم عليه أحد فيها، وترسخ لدى المسلم أن تمسكه بالقيم هو عين النصر عنده.

غير أن حرص الإسلام على ثبات منظومة القيم؛ لم يحمله على إعطاء ضماناً لمفسد أو عصمة لفاجر، بمعنى أن بعضاً من المبادئ التي يتوخى الإسلام إرساءها؛ كمبدأ الحرية الإنسانية، والذي يهدف فيه الإسلام إلى منح الحرية لجميع الجنس البشري، لكنه لا يمنح عدوه ما يُعد شيكاً على بياض -كما يقولون-؛ فلم يُحرم استرقاق أسرى الحرب، وكأن الإسلام يجعل بعضاً من قواعد اللعبة في الحرب بيد العدو، إن شاء العدو ضيّق فيها دائرة الأذى الذي سيناله جراء الحرب، وإن شاء جعلها حرباً مفتوحة لا سقف لها.

فلا يدخل أحد ضد الإسلام معركة وهو في ضمانة أو حماية تشريعية من الوقوع في الأسر أو تقييد الحرية..



إن العبارات التي تصف الشريعة بالمسالمة المطلقة، لهي كلمات شبيهة في تحكها بكلمات العشاق التي لا محل لها في فلسفة الشريعة إلا بقدر منضبط، وما تلقاها الناس إلا من (دراما) باهتة، كتبها غير مسلمين أو غير مختصين في علوم الإسلام وفلسفاته، وأذكر مثلاً من فيلم شيخ المجاهدين عمر المختار، كلمة تلقفها أبناء المسلمين، وبجهل جعلوها كالقواعد الأصولية؛ إذ قال في سياق رفض ردّ اعتداء بالمثل: «إنهم ليسوا قدوة لنا» هذا إن صلح في (الدراما) لا يصلح في صدّ عدو أو ردّ حق مغصوب! ولا يصلح أن نتلقاه من دراما ثم نقررها كروح للشريعة يتربّى عليها الأجيال! ثم نخضع لها تصرفات أهل الثغر، والأصل عندنا: لا يفتِ قاعد لمجاهد!

وفي تقرير مبدأ انتصار المبادئ وإن أُزهقت أرواح، لا يفوتنا كلمة حقيقية للشيخ المجاهد عمر المختار حيث قال: «صاحب الحق يعلو، وإن أسقطته منصة الإعدام».



وإن استطال العدو بمال صنع له مساندين فإن من كلمات شيخ المجاهدين: «أموالكم تمامًا مثل مجدكم، ليست خالدة، وإن الضربات التي لا تقصم الظهر تقويه».

فالإسلام مثلاً أبقى التخويف بورقة الأسر في يد عدوه، وإن جعل فكاك الرقاب سبيلاً لكفارة اليمين، أو القتل الخطأ أو الظهار من الزوجة، أو للنجاة على الصراط، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٣].

وأوصى الإسلام بالأسير خيراً، ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩] وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأبي ذر: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[١].

إنها كلمات من الرسول الكريم -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- اختصر فيها أعلى قيم الذوق الرفيع في التعامل مع الرقيق والإحسان إليه!

---

١ صحيح البخاري.

أما من جانب الجندي المسلم والوعد الإسلامي برضى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- والفوز بالجنة حال الشهادة، فهذا مرهون أيضاً بالتمسك بالقيم ومبادئ الوحي الشريف، وليس لمجرد بذل جهد ولا تضحية بمال أو روح، بل بمساندة قيمه والدفاع عنها، في الحديث عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: بعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فطَعَنْته فوقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُه لِلنَّبِيِّ ﷺ فقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ [أسامة]: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» فَمَا زَال يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ[٢].

وقد غزَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ أَرْضَ الرُّومِ، فَقَامَ فِي النَّاسِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ بِالْخَيْطِ وَالْمَخِيطِ، فَإِنَّهُ غُلُولٌ»[٣].

وكان علماء المسلمين يفتون في الرَجُلٍ يَحْتَاجُ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ إِذَا غَنِمَ الْمُسْلِمُونَ الْخَيْطَ، وَالْمَخِيطَ، وَالشَّعَرَ، وَالْعُرَى: «فَلَا يَسْتَحِلُّهُ حَتَّى يُؤَدِّيَ ثَمَنَهُ»[٤].



وإن كان الإسلام منع جنوده من التصرف في ممتلكات العدو أو المال العام للمسلمين، فهذا المنع ليس مقصوراً فقط على هذا، ولكن يتعدى

---

٢ صحيح مسلم.

٣ سنن سعيد بن منصور، الفرائض إلى الجهاد (٢/ ٣١٤)، تحقيق الأعظمي.

٤ سنن سعيد بن منصور، الفرائض إلى الجهاد (٢/ ٣١٤).

المنع إلى التصرف في حياته التي هي أخص ما للإنسان، فلا يجوز لجندي التعدي على غيره أو حتى على نفسه، في الحديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:



أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ، لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً، إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فقالوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «وَمَا ذَاكَ». قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٥].

٥ صحيح البخاري.

أما حسابات ومعايير النصر عند غير المسلمين فهي تنحصر في حساب كثرة إزهاق الأرواح، لا تمييز لمعصوم ولا حرمة عندهم لنساء ولا عبرة لأطفال ولا لكبار سن أو عجائز ولا متعبدين، ولا يوجد لديهم تصنيف يسمى مدنيين! لا في الأرواح ولا في المؤسسات والدور التي يدمرونها، والتشدق بالعدالة والقيم مجرد معانٍ نظرية لا صلة لها بواقع القوم، فلا يهم الكافر شيء إلا التشفي والانتقام أياً كان نوعه ومن أي أحد كان!



ونصوص كتبهم التي يصلح أن يُطلق عليها «مكدسة» بدلاً من «مقدسة» طافحة بأوامر التدمير والتخريب، لا تخطئها عين باحث أو متابع!

ثم العجب -بعد ذلك- أن تجد مَن يرفع صوته من المسلمين فيطلق القول: «كل الديانات تدعو للتسامح!» كما لو كان ذلك المغيّب عن واقعه محامياً عن كل الديانات، يدافع عنها دون علم بها ولا بتاريخها أو ممارسات أهلها.

وبناء على ذلك فأقل قراءة لموافقة الكافر على جلسات ما يسمى بالتفاوض؛ أو طلبه لها هي أكبر دليل على إفلاس قواه المتجبرة، والدعوة منه للتفاوض أو قبولها إذا طُلبت منه، ما هو إلا مجرد محاولة منه لتغطية عوراته المهتوكة.

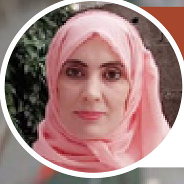
أرى ذلك بحسب اعتقاداتهم، وإن جاءت صورة الميدان مختلفة؛ فلعل السبب أنها صورة تعكس جانباً واحداً، لما لحق بأهلنا من دمار وتشريد طال الأرواح وكل مقومات الحياة!

فإن كانت صورة المشهد تتطلب كثيراً من البحث الإخباري حتى تكتمل صورة الواقع الذي عليه عدونا، فإن دلالات كثيرة تشير أنهم في مأزق غير معتاد، وأن استذلال الشعب الفلسطيني واغتصاب مقدسات المسلمين لم يعد مجرد تسلية لهم، وأخبر الله -جَلَّ جَلَالُه- عن ذلك فعكس الصورة التي لا يبثها إعلام ولا يتكلم عنها كل المراقبين فقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].



إننا موقنون أشد اليقين بألم يخفونه وحزن يدارونه، فنحن وإن لم نرَ الرعب ينتهش قلوبهم، فإنا نخوض معاركنا بتوجيهات وحي شريف منيف، وحسب أعلام نبوة لا نخطئ السير إلى الله معها طالما استرشدنا بها وتمسكنا بسننها!

اللهم أذِق أهل العزة حلاوة الجبر بعد مرارة الصبر!



بادية شكاط
كاتبة جزائرية

هل استفادت ثورة بنجلاديش من الثورات العربية؟

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله، وبعد:

يقول علي عزت بيغوفيتش في كتابه (الإعلان الإسلامي): «إن الدعم الحقيقي الذى يمنحه الشعب المسلم لأيّ نظام في السلطة ستجده دائماً يتناسب تناسباً طرديًّا مع مقدار ما يتمتع به النظام من طابع إسلامي، فكلما ابتعد نظام الحكم عن الإسلام قلّ دعم الشعب له، وهكذا تبقى الأنظمة المعادية للإسلام محرومة تماماً من أي دعم شعبي، ومن ثم تجدُ نفسها طوعاً أو كرهاً مجبورة على البحث عن هذا الدعم لدى القوى الأجنبية، ولذلك فإن التبعية التي تغرق فيها هذه الأنظمة هي نتيجة مباشرة لتوجهاتها اللا إسلامية».

وهذا بالضبط ما حصل في بنجلاديش، هذه القطعة الجغرافية الضيقة التي اتسعت لأكثر من مائة وخمسة مليون نسمة، ورغم أنها سابع كثافة سكانية في العالم إلا أنها حكمتها امرأة تكنّ العداء الكبير للإسلام والمسلمين، تدعى «الشيخة حسينة واجد» وهي عاشر رئيس وزراء لبنجلاديش، وقد شغلت المنصب من يونيو ١٩٩٦ حتى يوليو ٢٠٠١، ثم مرة أخرى من يناير ٢٠٠٩ حتى ٥ أغسطس ٢٠٢٤، حيث ورثت المنصب عن والدها الشيخ مجيب الرحمن، أول رئيس وزراء لبنجلاديش بعد انفصالها عن باكستان التي كانت في مواجهة مع الهند، فحكمت بقبضة من حديد وباستبداد شديد، فلم تكن ترى في شعبها إلا خصمًا لها، وروت بدمائهم جذور سلطانها، فقمعت الأصوات المعارضة وأعدمت أكبر الزعماء المسلمين؛ كمساعد الأمين العام لحزب الجماعة الإسلامية في بنجلاديش (محمد قمر الزمان) بتهمة الخيانة والإرهاب، ظلماً وتلفيقاً كعادة الأنظمة العربية الاستبدادية. وجعلت الشعب بجميع مستوياته ونخبه تحت خط البؤس.


محمد قمر الزمان

أما القشة التي قصمت ظهر البعير فهي أنها سنّت قانونًا يسمح لثلاثين في المائة من الوظائف الحكومية والخاصة، تكون لأبناء وأقارب العاملين في الجيش، فانفجر الوضع دون أن ينبئها بكل ذلك أي خبير، أو يسبقها إلى ذلك نذير، فخرج للتظاهر آلاف من الطلبة لأكثر من شهر، ولم يكن أمامها إلا أن أخرجت جيوشها لتقتل المئات بدم بارد، وحين عرفت أن الملايين قادمين كطوفان جارف إلى القصر الحكومي فرّت بطائرة مروحية إلى الهند التي خدمتها بإخلاص لتجد عندها الخلاص.

ثم ظهر بعد يومين من فرارها قائد الجيش الذي قتل متظاهرين سلميين، طالبًا أن يسلمه الشعب ثقته، وفرصة أخرى ليحاول تجميع الأحزاب.



قائد الجيش - الشيخة حسينة

غير أن الذي ينبغي تثمينه في الثورة البنجلاديشية والمختلف عن بقية الثورات العربية، هو أنها لم تتوقف عند استقالة أو إسقاط الشيخة حسينة، حيث عصفت الثورة بالمؤسسات الأمنية والعسكرية في بنجلاديش بموجة غير مسبوقة من التغيير منذ نحو عقدين، فتم تغيير نحو ثلاثين ضابطاً مسؤولاً في المؤسسة الشرطية، على رأسهم رئيس الفرع الخاص بالشرطة، وهو من أهم الوحدات، وصولاً إلى المفتش العام للشرطة، ومفوض شرطة (دكا) الذي أحيل إلى التقاعد.

وشملت التغييرات أيضاً مدير قوات التدخل السريع، ومدير معهد الجيش للعلوم والتكنولوجيا، ومديري الكلية والأكاديمية العسكريتين، والإدارة العامة للمخابرات العسكرية، وإدارة مخابرات الأمن الوطني، ومدير قوات الأنصار والدفاع الريفي، حيث يصل عدد عناصرها الفاعلين والاحتياط فيها إلى ستة ملايين عنصر وتتبع وزارة الداخلية، كما قال نظم الإسلام مساعد المفتش العام للشرطة البنجلاديشية لشؤون الصحة والرعاية والتقاعد بأنه قد شُكلت لجنة لإعادة تقديم الشرطة للمواطنين بزي رسمي وشعارين جديدين «بسبب تزايد عدم الثقة بين الناس تجاه الشرطة»، وستكون هذه

اللجنة برئاسة محمد عطاء الكبرياء نائب المفتش العام للشرطة البنجلاديشية، كما أقر محمد معين الإسلام المفتش العام الجديد للشرطة الذي عُيّن قبل أيام بأن الكثير من عناصر الشرطة قتلوا وجرحوا وعذبوا بسبب «بعض الضباط غير المهنيين والمفرطين في طموحهم»، وأنهم «خرجوا عن قواعد الشرطة المهنية وانتهكوا حقوق الإنسان»، مضيفاً أنه بسببهم حدث هذا العنف وسقط كل أولئك الضحايا، ووعد معين الإسلام بالتحقيق في كل حادثة قتل، معتذراً من المواطنين عن تقصير الشرطة وعدم أدائها مسؤولياتها خلال الحراك الطلابي «المنطقي» -كما وصفه- ضد التمييز.



كما أن طوفان التغيير الطلابي وصل إلى ملاحقة رجال النظام السابق إلى القضاء، إلى أن تمكنوا من إجبار قاضي القضاة على الاستقالة، ليكون سيد رفعت أحمد قاضي القضاة الجديد، مستلماً رئاسة محكمة التمييز وهي أعلى محاكم البلاد، الذي أكد على نهاية «عهد القمع»، وحذر القضاة من الوقوع في الأخطاء مجدداً، حسب تعبيره.

فأملنا أن تستفيد هذه الثورة من أخطاء الثورات العربية السابقة، فكما يقول ماوتسي تونغ مؤسس الصين الشعبية: «مَن قام بنصف ثورة كمن حفر قبره بيده».

فعضلتنا الحقيقية هي مع هذه الحكومات التي أصبحنا نمتلك معها قابلية للاستبداد والدمار كما كنا مع غيرها نمتلك قابلية للاستعمار، فالإصلاح الحقيقي برأينا الذي ينبغي أن تنشده نخبنا ليس هو الإصلاح الذي يدور في فلك حكامنا، فذاك كمن يريد أن يتعلق بجذع شجرة اجتُثّت من فوق الأرض

ولا قرار لها، فهذه النظم جعلت شعوب الأمة الإسلامية مشدودة الأطراف بين ماضيها وحاضرها، بين أصيلها ودخيلها، وبين قلة متحكمة تدعي الديموقراطية وغالبية محكومة بالديكتاتورية، بين نظم بملامح الاستقلال وروح من روح الاحتلال.

وفي الوقت الذي تعتقد فيه شعوب الأمة الإسلامية المعاصرة أن أزماتها قُطرية، فإنها تغفل أنها أمة واحدة وعدوها واحد، فلا جدوى من تحقيق بنجلاديش مثلاً الحكم السياسي الذي تريده إذا بقيت سيادتها الخارجية خاضعة لأمريكا أو روسيا أو غيرهما.

إننا نريد شعوبًا تفهم أنه قد آن الأوان للقيادة مع الريادة، ولا مجال لعلاقات دولية نمدها مع دول تقودنا وتبسط تاريخها الدموي على جغرافية العالم الإسلامي باسم الحرب الدولية على الإرهاب، ثم نجد من جديد أنفسنا معهم نرفع راية كاذبة خاطئة هي راية الحوار بين الحضارات التي مهّدت للتطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب، فنمد أيادي السلام البيضاء إلى الأيادي الملطخة بالدماء، ونعلن العداء للمقاومة الإسلامية (حماس)!



فالفاعلية الإصلاحية -كما نراها- ينبغي أن تقوم عوالمها في ثلاث دوائر:

١. الدائرة الأولى: عالم الأفكار

بتجميع أفكار العقول والنخب الفكرية الإسلامية، بعدم التعتيم على كل من له سهم بالفكر والقلم ليشرق في سماوات بعيدة، دون أن توصد أمامه أي باب، أو يوضع دون تميزه أي حجاب.

٢. الدائرة الثانية: عالم التنظيمات والمؤسسات

بتنظيمها.. فنجمع الحشود التي تسير كالسيل الهادر فتضغط على أي سياسات دولية فوقية تبقينا في مرحلة الغثائية والاستضعاف.

٣. الدائرة الثالثة: عالم التفاعلات

بتفعيلها من خلال تطبيق قوله عز وجل في الآية الكريمة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾. [الشورى: ١٣].

وذلك على وجهين:

- أولاً: هو إقامة هذا الدين، فأن نكون عالمين بديننا غير مقيمين لديننا هو تحزب مع حزب الشيطان الرجيم الذي عرف صراط الله المستقيم ورغم ذلك قال ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

- ثانيًا: عدم الفرقة بين المسلمين أثناء إقامة هذا الدين؛ فالعجب كل العجب أن يفهم البعض بأنه حتى لا تكون التفرقة بين المسلمين ينبغي أن نسد باب الاجتهاد، فأغلقوا لأجل ذلك دون التغيير كل باب، ونعتوا المجتهد بصاحب الفتنة، وإن كان هذا التغيير لا يفسد عليهم عقيدتهم ولا يذهب بشريعتهم، فأصابوا من حيث لم يحتسبوا العقول بالخمول والفكر الإسلامي بالذبول، وفرّقوا من حيث أرادوا أن يجمعوا.. فأن نختلف في الوسائل والغاية واحدة لهو الأحرى من أن نتوحد في الوسيلة ونحن بلا أية غاية، فطريق التمكين -برأينا- يحتاج إلى فهم راسخ للمبادئ قبل الغايات، مع حكمة وحسن تدبير. وإلا بقينا نهيم في جغرافيا لنا رسموها وصفحات في التاريخ لنا كتبوها.



د. أحمد شتيوي
أخصائي طب الأسنان

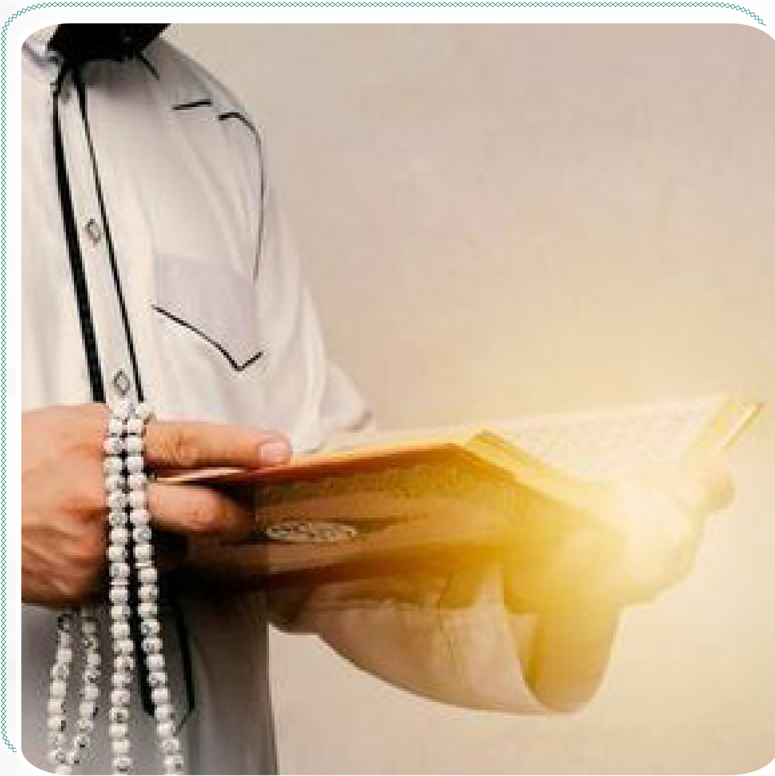
هكذا أصبحنا جميعاً يتامى! (٢/٢)

بسم الله، والصلاة والسلام على نبي الإسلام وإمام المرسلين وإمام أئمة المسلمين ﷺ، مَن جعله الله ومَن تبعه رحمةً للعالمين، فكان ببذله وجهاده وجنوده وأتباعه غيثاً وفضلاً من الله للبشر، وكانوا عباداً يأخذون من أنفسهم لرسالته السامية، الرسالة المفقودة في أيامنا والتي تحنّ البشرية لها وتئنّ مِن فقدها. أما بعد:

فهذا استكمال للمقال الأول، الذي أردت منه أن نستحضر معنى يُتمنا وسط البشر، وما له من أثر علينا وعلى البشر، وقد استعرضنا ثلاثة معانٍ، كانت:

- خطورة معنى الإمامة وضرورته بعد رسول الله ﷺ.
- ومعنى أن المسلمين لا يكون لهم إلا ولي أمر واحد لأنهم شيء واحد.
- والمعنى الثالث: هو قدسية جماعة المسلمين وخصوصيتها، وأنها رابطة أقوى من الدم، ولها يُبذل الدم.

وتعمقنا في تلك المعاني نوعاً من التعمق لأهميتها ولضرورة عودتها لضميرنا ووعينا مرة أخرى ولذا كرتنا المستمرة لا الموسمية، ليس فقط لضرورة الواقع المؤلم الذي نحياه ولا للمستقبل الذي ينتظرنا نحن وأبناؤنا إن استمر الحال على ما هو عليه؛ بل لموقفنا أمام الله.. مصيرنا الذي نقترب منه كل يوم.



قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجُمُعَة: ٥] فقد قال القرطبي:

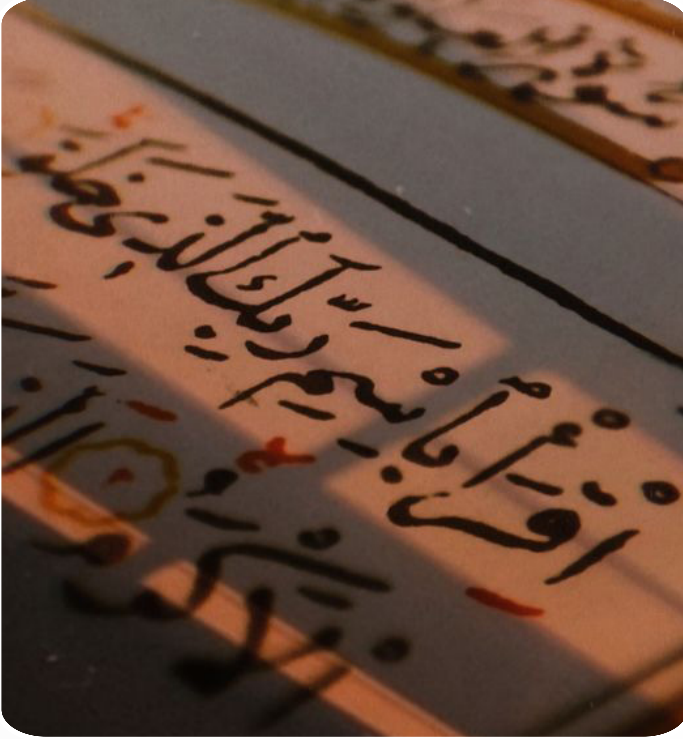
«وفي هذا تنبيهٌ من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه، ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء».

وقال: «ثم لم يحملوها: أي لم يعملوا بها».

ولعلي لو استشهدت بهذه الآية على حالنا وخوّفت بها من مصيرنا، لنقدني الكثير لأننا لا نقترف كل ما في الآية! ولأن هناك صحوة تتكون وتتزايد وهناك من يعمل للدين ويبذل، وهذا صحيح، ولكن الآية في قرآننا وليست في التوراة!

دعك من استشهادي فأنا بالطبع لا أسقطه علينا كاملاً، ولنصعد إلى مستوى البشرية كلها وكمؤمنين بشهود المسلمين على الناس، هل هذا الحمل الذي حمله المسلمون تستفيد من نوره البشرية الآن أم لا؟ هل

قاموا بحق هذا الحمل؟ هل هم الآن يتمتعون بما فيه من صلاح ويسعَدون به في أنفسهم قبل أن يُسعِدوا به الآخرين الذي كُلفوا بإيصاله لهم؟ هل خلق الله البعض مسلمين ومنّ عليهم بهذه النعمة المصيرية، نعمة الدنيا والآخرة، ولم يطلب منهم شيئاً؟ ولم يحمّلهم بحمل؟ هل اصطفاهم ليكونوا أفضل من الناس بلا بذل ولا تضحية؟ إنما يصطفي الله أكثر الناس جهداً وبذلاً وبلاء.. والأنبياء أول مثال.

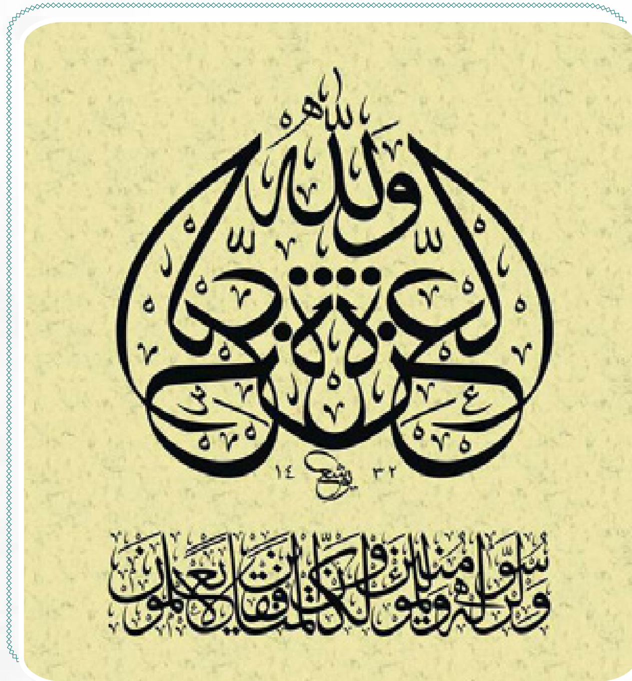


عندما يخلق الله البشر ثم يأذن لبعضهم أن يولد على الرسالة التي يرضاها وعنوانها رحمة العالمين فمن الطبيعي أن يكون هؤلاء أصحاب رسالة! ومن الطبيعي أن يحاسَبوا عليها من بين البشر، وهذه بديهيات، فمنحة معرفة طريق النجاة أعظم منحة وأعظم تحميل للمسئولية، والتقصير فيها أعظم محنة ونسأل الله السلامة من السؤال!

أحياناً أتأمل في نفسي وفي الناس، في دورة الحياة نعيش ونعمل لنطعم أنفسنا وعيالنا ونشتبك مع الحياة فتأخذ منا، وأعز ما تأخذه هو العمر، ولولا أن هناك مَن علمنا أن الحياة بضحكها وبكائها يصلح أن تكون كلها لله لكانت الحسرة قاصمة، ومع معرفتنا بما يجب علينا تجاه ديننا إلا أننا - كمدعين العمل لدين الله - لا نكفي كما يبدو لإقامة ما يجب إقامته!

الآن، دعك منا ونحن المقصرين ولننظر إلى جملة المسلمين.. هل كلهم يحيي بهذه المعاني التي ألفتُها وتألفها قارئي الكريم وربما ترعرعتَ عليها؟ هل يشير واقع المسلمين أنهم يحيون عليها أو على الأقل يحيي عليها الحد العددي الأدنى الذي يضمن للجميع السلامة؟ تأمل فيمن طحنته الحياة طحناً وأصبح لا يقدر أن يرى الحياة إلا كداً وتعباً في سبيل لقمة العيش وبعد التعب يفرج عن نفسه بشيء من ملهيات الحياة ثم يصحوا غداً ليستكمل الكد، ثم يمرّ العمر وينتهي، وتأمّل فيمن سحرته الحياة، ينام ويصحو في غفلة الملذات بلا هدف ولا معنى! هل هذا شيء يليق بالمسلم أو يليق بالإنسان؟ هذه الصنعة العالية التي خُلقت في أحسن تقويم؟ هذا الكائن الخالد! أليس هذا هو حال معظم المسلمين وكل البشرية في أيامنا؟

ما أريد قوله هنا وتكراره هو ضرورة الانتباه للمصير، وخطورته وضرورة تعميم هذا الإنذار بين المسلمين، فكيف يفر القوم من الخطر وهم لم يعرفوه؟



ثم المعنى الذي لابد من تكراره أيضاً ذكَره عمر بن الخطاب حين قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله». وقد رأينا بأعيننا كيف يشرب المسلمون المر كل يوم، لبعدهم عن السبيل وكيف يزيد، بعد أن كان بلاء المسلمين فكرياً بسبب ضلالات الغرب الفكرية أصبح البلاء مادياً ومباشراً. وبعيداً عن تصور أوضاعنا الآن أنها علاج بالكي، وربما هي كذلك، إلا أنه إن لم نستفِق بسبب هذه الصدمات، وهذا وارد ألا نستفيق -فلا ضمانة على ذلك!- لصار الوضع أسوأ ولتجاوز الأمر الكي، هذا على مستوى الجميع، أما على مستوى الفرد فإن دورة الحياة قصيرة والحساب المصيري محتّم إلا لمن قدّم له فأعتق نفسه!

لنكن نحن -من يحاول أن ينجو وينجي أمته ومن ورائها البشرية- هذه الكتلة المهتمة بأمور الإسلام والمسلمين، لنكن واقعيين، لا نريد أن نكون فئة تغرد بعيداً عن الواقع، وتتجاذب هموماً فكرية تجترها كل حين تفرغ فيها كبتها فتكون بلا أثر، ولكي تكون الفكرة ذات أثر لا بد من جعلها حالة تشغل عقول الناس وقلوبهم، لابد أن ينام الناس ويصحوا عليها، لابد أن تكون حاضرة في مجالسهم وفي أسمارهم، ولابد أن تكون لها تذكير دائم عندهم، وتبرز لهم كل وقت وكل حين فيتحركوا لها، ويجب أن يكون الأمر على محورين:

- أولهما: أن وحدة المسلمين أصل لا بد منه للحفاظ على الدين.. وهذا منطقي وشواهده كثيرة في عصرنا من أثر العبث في شعوبنا المسلمة.



- ثانياً: أنه بغير الإسلام لا هناء في الدنيا إجمالا، وقد أثبت التاريخ هذا بعد أن استشرفه الفاروق عمر، فعبثاً يفعل مَن يحاول أن ينفصل عن هذا المسار ليصلح حاله بتكلفة أقل، أو أن يستبدل بشرع الله شرعاً آخر. وإن تأملت تجد أن هذا المعنى قريب لمعنى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩]. فمن تمام الحفظ هو حفظ استعلاء الفكرة وأنها لا بديل لها، كما أن من حمل التوراة ثم لم يحملها بحقها ولم يطبقها وُصف بما وُصف.

إن تأثير ضياع الدولة على معاش الناس وحياتهم ظاهر منذ سقوط الخلافة، فأي محلل للتاريخ يرى البؤس الحقيقي الذي يحياه المسلمون منذ ضعفوا وتشتتوا، ولا تحصل لبعضهم انفراجات إلا إذا جاء قوم هنا أو هناك ممن يرفع راية الدين وفعّلوا جزءاً ما من الدين لوهلة من الوقت قبل أن ينقض عليهم المنقضون أو يحيدوا هم عن الصواب، وإن تأثير ضياع الدولة المسلمة على مصير المسلمين واضح وجلي في سلوكهم وفي تغلغل الأفكار والتصورات الضالة في مجتمعهم، وإن التذكير بهذه المعاني لابد أن يُظهَر للمسلمين في كل وقت وحين.



ربما كررت في هذا المقال بديهيات معروفة.. فلم أكررها؟

أكررها لأنبه لنقطتين مهمتين:

- أولهما: ألا تخدعنا الدائرة التي نحيا فيها كمهتمين بأمور المسلمين فإن بعضنا قد أصبح الأمر عنده عقدة منحصرة فيه وفي مجتمعة الفكري يتناقلها مع من حوله من أمثاله، ويفرغ بعضنا ما في جعبته على ما في جعبة الآخر، ونكتفي بهذا ولا ننشر الهم للمسلمين ولا نجعلها قضية رأي عام.

- ثانياً: ألا نستكين للفكرة السائدة أن هناك صحوة فنركن وننتظر هذه الصحوة أن تكبر! ولا أنكر أن هناك صحوة ولكن هذه الصحوة ليست إلا نوراً لم يعمّ بعد! نوراً لا يكفي لهداية المجموع والكل، ولا حتى يكفي للبعض ففرج عنه الفرج الظاهر، فلا زلنا في مرحلة الخطر وفي أرض المعركة، فأمة مهزومة تحتاج

لطاقة أكبر لتنتصر عن أمة منتصرة أتقنت النصر وتجني منه المزيد واعتادت على صناعته! وأن من يشاهد ما يُبذل من تضحيات وبطولات في المعركة الحالية ربما استشعر قرب الخلاص! وقد أثبتت التجربة الحالية في معركة غزة أن الأمر ليس كذلك بعد أن قاربت الحرب العام، ولم يتوقف الفجور والطغيان فيها لحظة ولم يستطع المسلمون كلهم أن يؤثروا في مسار المعركة أي تأثير لصالح إخوانهم! ولم تستطع دولة مسلمة واحدة أن توقف هذه المذبحة الكبرى، بل تواطأ عدد منهم عليها، وانظر كذلك إلى الجرح الغائر في السودان الذي أدمى القلوب وكاد يسحقها. وبناء على التجربة فالأمر كبير! على مقياس كبير! وإن حجم الجهد المطلوب للتعافي كما يبدو لم يُبذل بعد! وإن مسيرة الجاهدين نحو التعافي قليلة العدة والعتاد!

خطوات عملية

نحن نعلم أن السلطة والسلطان لهم أثر مهول في وعي وفكر الناس وسلوكهم، وبما أن المصلحين بعيدون عن هذه السلطة وقوة تأثيرها الكبيرة ليوجهوا بها الأمة لما ينفعها، وبينهم وبين هذه السلطة ما صنع الحداد! إلا أن عندنا في زماننا هذا فرص وفرص!

تأمل معي أنك تمسك هاتفك وتتصفح موقع تواصل اجتماعي فيقفز إليك إعلان عن تلك السلعة من كل نافذة إعلانية وفي كل وقت ولا يتركك إلا بعد حين! ألا نستطيع أن نروج لسلعتنا هذه ونجعلها حاضرة بين الناس بما أوتينا من قوة، أليس الفضاء مفتوحاً لهذا؟ وقد رأينا أنه ممكن بعد الطوفان بشيء من الجهد والحيلة.



ألا يستطيع كاتب أن يبدع رواية تتحدث عن هذه المعاني، وأن يرفع لنا من المعاني أننا يتامى لا إمام لنا ويشعرنا بآلام التشرد والضعف ومآلاته وفظائعه، ويقذف في قلوبنا الأمل أن لنا دولة كبرى لها حدود هذه هي ويرسمها، ويدخلنا في تفاصيلها وتحدياتها؟!



وكمثال: فقد امتلأ (اليوتيوب) بـ(فيديوهات كارتونية) وثلاثية الأبعاد عن الصحابة والأخلاق وعلماء المسلمين وقادتهم، وهذا ضروري إلا أنه لا يشحن لتوجه معين ولا يحرك حركة فاعلة لحل مشاكل الأمة، ولا يهيئ الذهن والبال للحلم المنشود، فأين المبدعون لهذا؟ الذين هذا هو زمانهم! وهذه الثغرة المفتوحة هي لهم لا عليهم!

ألا يستطيع كاتب أن ينسج (السيناريو) لمصمم مبدع يأخذها محرك مبدع ومخرج مبدع فينتجون لنا أعمالاً عديدة تطرح هذه الفكرة للأمة لتهتم بها ولها؟ أو ممثلين يجدون في هذا قربة لهم أمام الله، فيعيش الناس الأمل ويصحون وينامون على الحلم بعد كل حلقة من المسلسل، بعد أن صحوا وناموا عقوداً على سفه وتفاهات وضلال؟

 هذا معنى يجب أن يناقشه الرجال في مجالسهم والنساء في تجمعاتهم، على الطعام وفي جولات التنزه وفي الأعياد وفي قاعات الانتظار في المصالح الحكومية، وعند الأطباء وفي البنوك والأسواق، ويجب أن تزرع روضات الأطفال هذه المعاني وكل مدرس في دروسه الخصوصية، ومن يستطيع أن يشغّل الشاشة على محاضرة عن هذه المعاني في أي قاعة فليفعل، وكل خطيب مسجد يستطيع أن ينطلق في هذا المعنى فليفعل، وليجعله سلسلة لا يمل منها ولا من تفصيلها، ولنعرف أن بداية وحدة المسلمين تبدأ من الشعوب لا من الحكام، ولهذا تفصيل بحول الله في المقالات القادمة. إلا أن هذه هي الساحة، المسلمون ووعيهم وانشغالهم بالقضية المصيرية.

ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ، ومنابر	وبكت عليك ممالكٌ، ونواح
الهندُ والهةٌ، ومصرُ حزينةٌ	تبكي عليك بمدمعٍ سَحّاحِ
والشامُ تسألُ، والعراق، وفارسٌ	أَمَحَا من الأَرض الخلافةَ ماحِ؟
وأَتت لك الجُمَعُ الجلائلُ مأْتماً	فقعدن فيه مَقاعدَ الأَنواحِ
يا لَلرّجال لحُرة مَوؤدة	قُتلت بغير جريرة وجُناحِ

إن كان هذا النواح من مائة عام قبل كل ما حدث! فماذا يجب أن يكون الآن؟

لنبدأ بالممكن والمستطاع ولتبدأ الأعمال قوية كانت أو ضعيفة.. المهم أن تبدأ.

ولنستكمل في أعدادنا القادمة، بحول الله تعالى وقوته.

د. حسن سلمان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ







الإسلام والعلاقات الدولية (٢/٢)

ثانياً: الرؤية العقدية والفلسفية للسياسة الدولية في الإسلام

ترتكز المنظومات السياسية المحلية والدولية على منظور فلسفي وتصور عقائدي يحكم حركتها ويحدد قيمها ويضبط مسارات عملها، حتى ولو ادعت بأنها متحررة من قيود الأيدولوجيا وأحكام الأديان، ومحكومة بمنطق المصالح المحضة، وإذا كان الأمر كذلك فإن العلاقات الدولية أو الكونية والإنسانية في الإسلام ترتكز على تصور عقدي عمادُه الرسالة الهادية المعبرة عن مراد الله تعالى في الوجود البشري والطبيعي والذي هو: (حاكمية الكتاب).

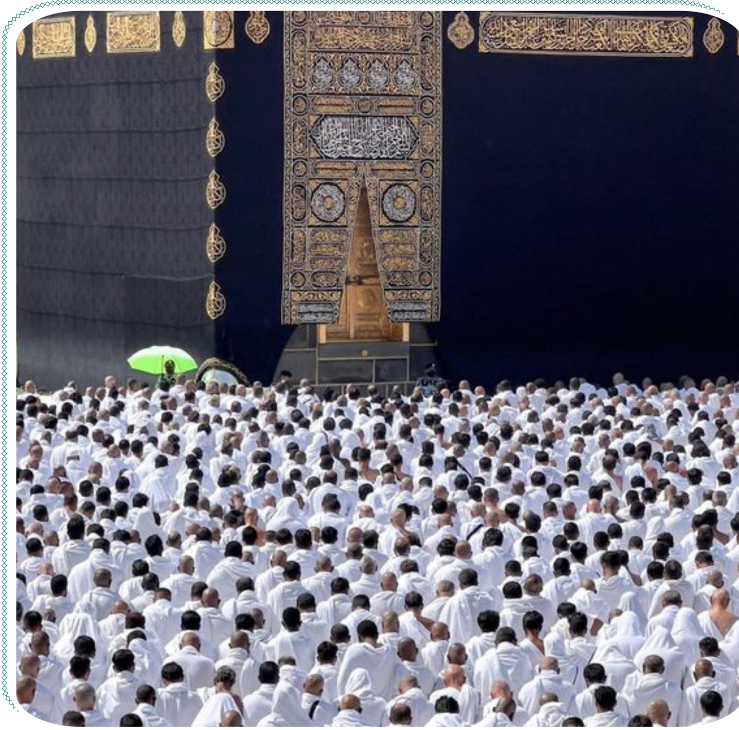
 فهو خطاب يحمل رؤية متعالية خارج منظومة الصراعات والحظوظ البينية للخلق ليفصل بين النزاعات ويقسم الحقوق بعيداً عن منطق الأقوياء والضعفاء، والأقليات والأكثريات، أو الانتماءات الأرضية المختلفة، وترتكز الرؤية الإسلامية للعلاقات الدولية على ثلاثة مرتكزات أساسية تحكمها، وهي:

١. وحدة الدين وحرية العقائد



الإسلام ينطلق في رؤيته للوجود بأن لهذا الكون خالقاً مدبراً مريداً حاكماً، وله غاية وحكمة من خلقه للوجود، وهذه الغاية هي التعرف عليه والخضوع لأمره وعبادته، الواحد الأحد دون شريك، وأنه لا مجال للعبثية والعدمية والجهالة في المسيرة والمصير، ولأجل ذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب هادية للناس ومبينة لهم طرائق العيش في الدنيا وسبيل الفوز في الآخرة، وعليه فإن التوحيد هو الفكرة المركزية في طبيعة الدين المنزل، وهي الجامعة بين الرسالات كافة وموحدة لأصولها ومصدرها.

 وهذا الدين الواحد هو الإسلام الذي يدعو الناس جميعاً إلى توحيد الخالق ووحدة الأصل البشري، وإن تعددت شرائعه ونِحَله، وفي أي علاقة خاصة أو عامة يُراعَى هذا الأصل العظيم الذي يخاطب البشرية



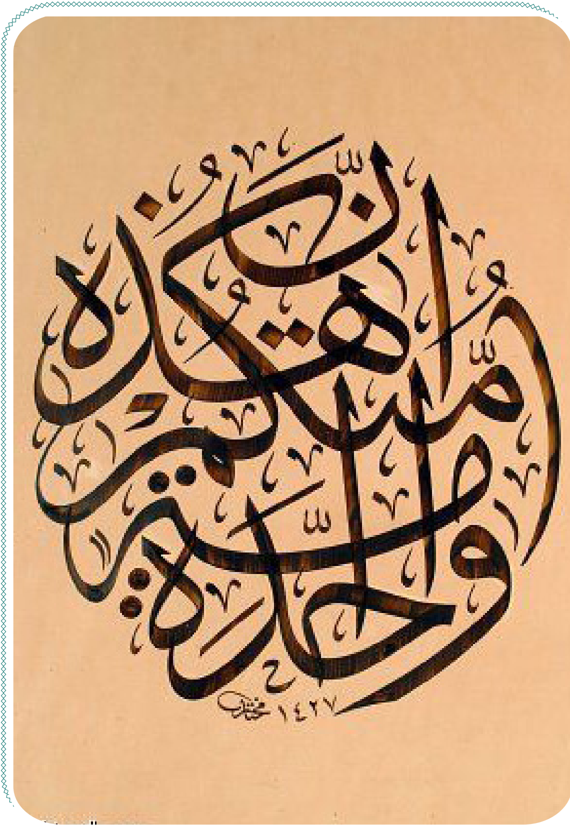
كافة دون حواجز مانعة من التوحد تحت راية التوحيد، التي تتلاشى معها كافة أشكال الطبقية والتفاوت والاستعلاء والاستكبار في الأرض.. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وهذا يعني الالتقاء على كلمة سواء وهي كلمة التوحيد والإيمان ومفارقة الشرك والكفر، وترك كافة أشكال العلو في الأرض المانعة من الاستخلاف وعمارة الأرض، والمناقضة لمقصود الشارع في الوجود.. قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ولكن الواقع البشري نجده بخلاف ذلك؛ فالناس عملياً لا يتفقون على توحيد الله تعالى والتزام شرعه، وبهذا يحصل التفرق في الدين، وبالتبع التفرق في السياسة داخلياً وخارجياً، ومع ذلك يظل الإسلام متمسكاً بوحدة الدين الرباني المقبول (دين الحق) ولكنه يقر بتعددية العقائد والأفكار وتعددية الأمم كذلك، لأنه

لا يحمل الناس على الإكراه في الدين، وتنشأ بذلك رؤيته القائمة على الأمة ذات الرسالة الواحدة وهي الأمة المسلمة وولايتها على نفسها في الأرض التي تخضع لسلطانها، وتحكم فيها شريعتها وتسمى دار الإسلام، وفي مقابلها تكون دور الكفر بغض النظر عن موقفها من الإسلام والمسلمين حرباً وسلماً.

وهنا نشير إلى أن الإسلام يعتمد منظور الأمة باعتبارها الوحدة التي يدرس من خلالها السياسة الداخلية والعلاقات الخارجية، ولا يعتمد منظور الدولة القطرية أو القومية، حتى ولو تعامل معها اضطراراً في طريق الانتقال للمنظور الأممي في العلاقات الدولية أو الكونية، ويتعامل مع هذا التعدد الديني والتنوع العقدي بأنه ابتلاء يجب تجاوزه نحو التوحيد والوحدة والإخاء الإيماني المحقِّق للاستخلاف والعمران، من خلال التعارف والتعاون على الخير العام والمدافعة لمنع الشر والعدوان.



٢. وحدة الجنس البشري

الإسلام يقرر بأن البشرية كلها من أصل واحد، وهو آدم عليه السلام الكائن من طين وتراب، وهذا الأصل تفرع عنه زوجه، ومن الزوجين تكاثرت البشرية شعوباً وقبائل، ووحدة الأصل الإنساني يلغي كافة نظريات النقاء والاستعلاء العرقي والاستحقاق المبني على ذلك، فلا تفاضل بين الشعوب والأفراد إلا بمعيار شرعي، وهو التقوى، الذي يمكن لكل مكلف السباق في مضمارها من خلال الصلاح الذاتي والإصلاح

المجتمعي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

والنص القرآني يقرر وحدة الأصل البشري ووحدة الخالق الذي ينتمي إليه الخلق جميعاً، ولزوم تقواه برعاية الحقوق والتزام الحدود وترك البغي والعدوان، مهما تنوعت دوافعه، وبما أنهم جاؤوا إلى الوجود والحياة على وجه هذه الأرض بإرادة الله تعالى الكونية والخلقية فإنه يجب عليهم التزام إرادته الشرعية في كيفية العيش لتحقيق الاستخلاف المراد، وبهذا يتجاوز كافة النظريات السائدة في العلاقات الدولية والمنطلقة من المنطلقات القومية والعنصرية والمصلحية؛ لأنها تهدم وحدة الأصل البشري وتغيب معها المسؤولية الأخلاقية تجاه خالق الوجود، ومع غياب هذا المنطلق تنحرف العلاقات الإنسانية وتؤسس على مفاهيم وقيم بعيدة عن الهدي الراشد والفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها.

وبالتالي فإن الوضع الطبيعي للإنسان هو الاعتراف بالخالق وهداياته للبشرية، والتفاعل معه توحيداً لله تعالى ووحدة مع سائر البشر، خلافاً للنظريات الوضعية التي تعتبر الوضع الطبيعي هي حالة الجهالة والقطيعة مع الله والوحي المنزل، مخالِفةً بذلك فطرة الله التي فطر الناس عليها. ولهذا فالتاريخ البشري بحسب السردية القرآنية هو تاريخ أديان اتفاقاً واختلافاً، وأن الاختلاف في أصله مع العلم



المنزل من الله تعالى بغياً بين الناس واتباعاً للأهواء البشرية.. قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].



وخلاصة القول: إن وحدة الأصل البشري تعد من أهم أصول ومرتكزات العلاقات الدولية، والسياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخلية، والتي مبناها على السلوك الإنساني صلاحاً وفساداً، وإن الصراعات الخارجية في أساسها تعود للنفس البشرية وما فيها من خير أو شر، وبالتالي فصلاح العلاقات واستقامتها يعود لصلاح الإنسان القائم عليها، ولذا فالسياسة الإسلامية داخلية كانت أم خارجية قوامها الأخلاق؛ فهي سياسة أخلاقية، وتصادم بطبيعة الحال السياسة غير الأخلاقية ذات الطابع العرقي العنصري المصلحي، وتنشأ بالتالي الصراعات الدولية العدوانية الباغية.

٣. الانتفاع بخيرات الأرض المشتركة

يقرر الإسلام وحدة الوظيفة الإنسانية وغاية وجود الكائن البشري على وجه الأرض، وهي الاستخلاف.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ

فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]، ودلالات الخليفة تأتي بمعنى النيابة عن الغير أو الوكالة عنه، وجمْعها خلائف أو خلفاء، وهم مَن يتلو بعضهم بعضاً، أي التالي واللاحق الذي يأتي بعد آخر، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].



والتأسيس المعرفي لهذا الأمر بهذه الصورة يعيدنا للرؤية الغيبية، والاستناد على الوحي في معالجة العلاقات الإنسانية، وأن العقل والعلم وحده لن يقيم علاقات راشدة وحاسمة للنزاعات؛ لأن تحديد الخير والشر والصلاح والفساد لا يدخل تحتهما، بل هو مما تتفاوت فيه الأنظار وتتباين فيه الرؤى والأفكار، فكان لا بد من منظور متعالٍ يفصل بين الناس ويحكم بينهم باليقين لا بالظن والوهم، ولن يمتلك الإنسان اليقين في الأحكام الخارجة عن مجال العلم والعقل إلا بالوحي وهداياته المنزلة، لأن الله تعالى كلي العلم وكلي الخير؛ فشريعته صادرة عن علم وحكمة ومريدة للخير ومصالح العباد في العاجل والآجل.

ولكن ثبت بالتجربة والواقع بأن الناس لا يسلمون بالوحي بل يختلفون حوله كثيراً بين مؤمن به وكافر، وبطبيعة الحال سيكون الاختلاف حول أنماط الاستخلاف البشري، بين استخلاف قائم على الحق والعدل

والهدي الرباني وبين استخلاف قائم على الهوى والنظر الوضعي بدوافعه المختلفة، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [فاطر: ٣٩].

والإسلام وهو ينطلق من وحدة الأصل البشري ووحدة وظيفته في الاستخلاف والعمران انطلاقاً من الوحي والهدايات الربانية، يتعامل مع التباينات والاختلافات الفردية والمجتمعية والأممية، وينظمها تنظيماً يحقق المصالح المشتركة بين البشر، وهذه الشراكة الكونية لإعمار الأرض ينطلق فيها الإسلام من منظور قيمي يتيح للإنسان السعي لصلاح حاله في دينه ودنياه، وفي حالة خروج البعض وانحرافه عن الاجتماع الإنساني الراشد المؤسس على الهدايات الرسالية يبقى منطق المدافعة الكونية بين الأمم، تدافعاً يمنع التهارج والفساد، ويحقق صلاح العمران والإنسان بحسب الإمكان، ابتداءً من الكلمة والجدال بالحسنى والمتاركة والصبر والعفو والهجر الجميل، وانتهاءً بالحرب والقتال المانع من الإثم والعدوان وفساد العمران.. قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود: ٦١].

وخلاصة القول فإن الشراكة الكونية التي يسعى لها الإسلام لكافة البشرية، ترتكز على منظومة قيم الحق والعدل والخير والجمال، بما يؤدي لصلاح الإنسان والعمران موصولاً بالله تعالى، ومتعاوناً مع بقية البشر على ما ينفعهم ويحقق لهم الحياة الطيبة.



الشيخ محمد علي محمد المسعود
عضو هيئة التعليم في مؤسسة إددف

مهارة جذبِ الانتباهِ في سيرةِ النّبي ﷺ (٢/٢)

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمدٍ الصَّادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن سارعلى دربه إلى يوم الدِّين.

استكمالاً للمقالة في العدد السابق، نتابع الكلام عن هذا الموضوع الذي يعدُّ ركناً هاماً من أركان إيصال الخير إلى الغير، عبر الإقناع والتأثير وتلقين الفكرةِ بكلِّ أشكالها للمتلقِّي، لتتم الفائدة وتصل هذه الفكرة النَّافعة كما أرادها المعلِّم أو الواعظ أو المربِّي أو الخطيب.

وبينَّا في العدد السَّابق أنَّه لا بدَّ لكلِّ من أراد أن ينفعَ بعلمٍ أو تربيةٍ، أن يتَّسم بهذه المهارات التي دونها يصبح كالمحارب دون سلاحٍ في أرض المعركة، فهو أمام مشتِّتاتٍ ذهنيَّة كثيرة، جوَّالات لا تخلو منها يدٌ، وهموم أثقلت الكواهل، ومشاغل حياة لا تنتهي، ألقتْ بظلالها حجاباً كثيفاً على القلوب والأفهام، إلى ما هنالك من أمور تصْرِفُ العقلَ عن تلقي المعلومة،

فلا يجد المعلِّمُ أو الخطيبُ أو الواعظُ أو المربي نفسه إلا في حربٍ ضروسٍ أمام هذه المشتِّتات التي تشغل العقول والقلوب عن تلقي الفائدة، ونجد أن هذه المادة العلمية -مهارة جذب الانتباه- قد أفردت لها الجامعات الغربية فروعاً معتمدة، ليتلقَّى فيها الطّلاب أنواع هذه الفنون بغية إيصال المعلومة وترسيخها لدى المتلقي، وأقيمت لها النّدوات والمحاضرات لتأصيلها وتبيينها وتلقينها للطلاب، في حين نرى أن سُنَّة وأحاديث النبي الأعظم ﷺ قد سبقتهم بمئات السنين إلى هذا العِلم، فاستخدمها النبي ﷺ لحرصه على هداية أمته وجذب انتباههم لما يلقي عليهم من خيريّ الدّنيا والآخرة، فليس الغرب مَن أوجد هذا العلم كما يزعم أصحابُ الغزو الفكري، بل سبقهم إليه النبي الأعظم ﷺ، وتلقَّاها الصَّحابةُ الكرام منه، وأدَّوْها لنا كما شاهدوها وسمعوها من النبي ﷺ.



ومن هنا جاءتْ الأحاديثُ المسَلسَلةُ التي تروي لنا الحديث على الهيئة أو المكان أو الزمان الذي قال ﷺ حديثه الشريفَ فيه.

وقد توقفنا في مقالة العدد السابق عند أسلوب القِصَّة، ونتابع في عددنا هذا بعض الأساليب النبويَّة الأخرى، ولا نزعم أنَّا سنستوعب في هذه العُجالة كل الأساليب النبويَّة، إلا غيضاً من فيض المصطفى ﷺ.

أسلوب المُزاح



المُزاح الصادق الهادف يؤدي وظيفةً كبيرةً في جذب الانتباه وإيصال الفكرة إلى المتلقي، ويلعب دوراً بارزاً في تنبيه الحواس وشَحْذِ الهممِ لاستيعابِ المادةِ العلّميةِ والتربويةِ المطروحةِ، وخصوصاً إذا كانت مادةً دسمةً، إذ إنَّ عقل المتلقي مهما كان قوياً، له قدرة محدودة على الاستقبال والتركيز، ولذا كان حرياً على المعلم أن يوظِّف أسلوب المزاح والطُّرفةِ الهادفةِ فيما يخدم العمليةَ التعليميةَ، بشرطِ أن تبقى في إطارها التربوي، ولا تتعدى ذلك لتصبح شيئاً مخلاً.

يقول الإمام الغزالي في (الإحياء): «إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ولا تؤذي قلباً ولا تفرط فيه، وتقتصر عليه أحياناً على الندور، فلا حرج عليك، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاحَ حرفةً يواظب عليها ويفرط فيها ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ»[١].

---

١ إحياء علوم الدين، الغزالي، ص٧٠.

روى الترمذي عن الحسن مرسلاً: ومن المزاح النبوي أن امرأةً أتت النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسول الله احملنا على بعير. فقال: «أحملكم على ولدِ الناقةِ». قالت وما نصنع بولدِ النَّاقة؟ فقال: «وهل تلد الإبل إلا النُّوقَ»[٢].

أسلوب القسَم



القسم أداةٌ عظيمةٌ لجلب الانتباه وجمْع شتات العقل والقلب، يقول ابن القيم في زاد المعاد: «أقسَم النبي ﷺ على ما أخبر به من الحقِّ في أكثر من ثمانين موضعاً، وهي موجودة في الصّحاح والمسانيد، وأمره الله تعالى بالحلف على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع من القرآن: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣] ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]»[٣].

ومن تلك الأحاديث النبوية الشريفة التي جمعت في طيَّاتها هذا الأسلوب النبوي، ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ». قِيلَ: مَنْ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: الَّذي لا يأْمنُ جارُه بَوَائقَه»[٤].

---

٢ الترمذي، كتاب الشمائل، باب مُزاح النبي ﷺ، ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، رقم ٤٩٩٨.

٣ زاد المعاد،ابن القيم الجوزية، ٣١٣/٢.

٤ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصية بالجار رقم ٦٠١٦.

ومن ذلك قوله ﷺ فيما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ»[٥].

والنبي ﷺ كونه أصدق البشر لا محالة ليس بحاجة أن يقسم الأيمان على صحة حديثه، وما كان إجراء القسَم منه إلا ليجذب انتباه المتلقي ويلزمه الحجَّةَ بعد أن جعل عقله وقلبه مشدودين بالقَسم على المقسوم عليه.

أسلوب المخاطبة على قدر الأفهام والعقول



خاطَب النبي ﷺ الناس على قدْر عقولهم وأفهامهم، مراعياً بذلك الفروق والقدرات الاستيعابية، فليس كلُّ الناس على قدر واحد من الفهم، وكان ﷺ يحافظ على قلوب المبتدئين، فلا يعلِّمهم ما يعلِّم السَّابقين الرَّاسخين، ويوجّه حديثه لكل طبقةٍ بما يلائمُ طبيعتها التي تربتْ فيها وظروفها التي ألِفتها، حتى أفرد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم باباً أسماه: «باب: مَن خصَّ بالعلم قوماً دون قومٍ كراهية ألا يفهموه».

وخير ما يوضِّحُ هذا الأسلوبَ النبويِّ ما رواه عتبة بن عبد السَّلمي:

«جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَسأَلَهُ عَنِ الحَوْضِ، وَذَكَرَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فِيهَا فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى»، فَذَكَرَ شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ قَالَ: أَيَّ شَجَرِ أَرْضِنَا تُشْبِهُ؟ قَالَ: «لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَيْتَ الشَّامَ؟ فَقَالَ: لَا، قَالَ: «تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَى

---

٥ رواه النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، علامة حب الإيمان، رقم ٥٠١٧.

الجَوْزَة، تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، وَيَنْفَرِشُ أَعْلاَهَا». قَالَ مَا عِظَمُ أَصْلِهَا؟ قَالَ ﷺ: «لَوِ ارْتَحَلْتَ جَذَعَةً مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ، مَا أَحَطْتَ بِأَصْلِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَمًا». قَالَ: فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ؟ قَالَ: «مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ، وَلَا يَفْتُرُ»، قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْحَبَّةِ؟ قَالَ: «هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ قَطّ عَظِيمًا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ قَالَ اتَّخِذِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا»؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ لَتُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ»[٦].



فهذا الصَّحابيُّ أعرابيٌّ من البادية، لم يعاين إلا الإبل والغنم، وأراد النبي ﷺ أن يكون لحديثه مع هذا الأعرابي أبلغ الأثر، وذلك بإثارة انتباهه عن طريق مخاطبته بما يعقل، ويتدرج معه شيئاً فشيئاً حتى يوصل إليه الفكرة التعليمية بما يرسَخُ في ذهنه بعد الفهم والاستيعاب، ونلاحظ أنَّ النبيَّ ﷺ بصبرٍ وأناةٍ ودون مللٍ، أخذ يلقِّنه الفكرة بما يعقل بقوله ﷺ:

«هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قطُّ عظيماً فسلخ إهابه فأعطاه أمَّك وقال اتخذي لنا منه دلوا».

بهذا الحوار البسيط الذي يدور حول ما تعوَّده الأعرابي في باديته وما شاهده في حياته من أمور بسيطة استطاع النبي ﷺ إيجاد طريقةٍ لإثارة انتباهه وإيصال الفكرة له، فتلقى الأعرابي كلام النبي ﷺ ووقع في قلبه موقع المطر في الأرض العطشى.

٦ رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مسانيد المقلين، مسند عتبة بن عبد السلمي، رقم ١٧٦٤٢.

أسلوب السكوت أثناء الكلام

ومن تلك الأساليب التأثيريَّة، أسلوب السُّكوتِ أثناءَ الكلام، لكي يثير الفضول لدى المتلقين، ويعطيهم مساحةً للتفكير فيما سيقوله ويمليه عليهم، وبذلك يكون قد تغلَّب على كل ما يشِّتت أذهانهم بهذه السَّكتة اللَّطيفة التي جاءتْ على غيرِ المعتاد.

جاء في كتاب (المرشد النَّفيس إلى أسْلمةِ طرق التَّدريس) ما نصُّه: «إنَّ وجودَ الفواصلِ والوقفاتِ في أثناء الشَّرح أمرٌ مهمٌ؛ لكي يتمكَّنَ الطَّلبة من التفكير والتَّمعن في ما يقوله المعلِّمُ ويفعله»[٧].

وقد استخدم النبي ﷺ السَّكوت كطريقةٍ ناجحةٍ لإثارة الانتباه لدى الصَّحابة رضي الله عنهم، وتهيئة الذّهن في كثير من المواقف التعليمية، فعن أبي بَكرة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا النبيُّ ﷺ يَوَمَ النَّحرِ، قالَ: «أتَدْرُون أيُّ يومٍ هذا؟» قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: «أليس يَوَمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قالَ: «أيُّ شَهْرٍ هذا؟» قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، فَقالَ: «أليسَ ذُو الحَجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قالَ: «أيُّ بَلَدٍ هذا؟» قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: «أليسَتْ بالبَلْدَةِ الحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قالَ: «فإنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ عليكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، إلى يومِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، ألَا هلْ بَلَّغْتُ؟» قالوا: نَعَمْ، قالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِن سَامِعٍ، فلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[٨].

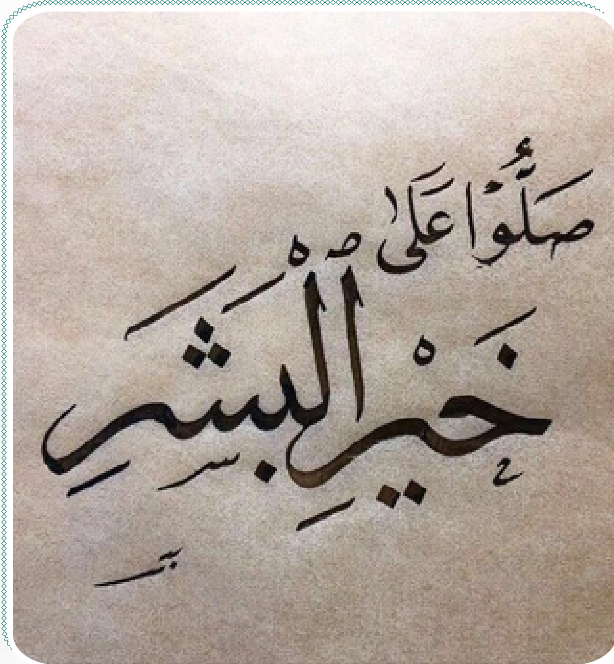
---

٧ المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس، محمد صالح جان، ص١٩٠.

٨ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام مِنى، رقم ١٧٤١.

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الأمثلة -التي هي غيض من فيض من أحاديث النبي ﷺ وسيرته العطرة- أنَّ النبيَّ ﷺ استخدم هذه الوسائل التعليمية حرصاً منه على جذب انتباه صحابته الكرام وأمَّته من بعدهم، ليوصل لنا الخير وتتم الفائدة العلمية والتربوية، وأنَّ المدرِّس والمعلم والواعظ والخطيب والمربي الذي لا يتحلَّى بهذه المهارات التعليمية النبوية، يفوِّت على نفسه وعلى سامعه فرصة إيصال المعلومة ونقْشها في عقل وقلب مَن أراد إيصال الفكرة إليه، ومهما بلغت سويّته العلمية، فإنَّه لن يصل إلى الهدف والغاية المرجوَّة إلا إذا ما اكتسب هذه المهارات وأصبحت له سجِيَّة دون تكلف.

وأنَّ النبي ﷺ قد سبق بمئات السِّنين الأنظمة الغربية التي أفردت لهذه المهارات فروعاً في الجامعات ومحاضرات مطوَّلة، زاعمين أنَّه لم يسبقهم إليها أحد.. سنجد من خلال دراسة السُّنَّة النَّبوِّية أنَّ رسولنا الكريم ﷺ قد أصَّلها ولقَّنها لأصحابه الكرام،وهم بدورهم قد أدَّوها كما سمعوها وشاهدوها مِن رسول الله ﷺ، ومِن بعدهم التابعين وتابعيهم حتى دوِّنت، ولا زالت تروى إلى يومنا هذا كما هي.



فصلَّى الله على معلِّم البشرية الخير، ورضي عن أصحابه الكرام وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين..

يا من حوى بحرَ الفَصَاحةِ والنُّهى •• ماذا يقولُ الشّعرُ فيكَ مُعبِّرا

وإذا خَطَبَتَ المؤمنينَ فأبحُرُ •• من ذا تُراهُ لا يهابُ الأبحُرا

تبكي القلوبُ مَهابةً لحَديثِهِ •• وإذا البيَانُ دعاهُ أبكى المنبَرا



د. الحسن بن علي الكتاني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ



خصائص الأسرة في الإسلام (٢/٢)

ثبات الأسرة الإسلامية هي النتيجة الحتمية للميزات الثلاثة السابقة، من عموم وشمول ودوام.. أو ما يمكن أن يعبر عنه بثبات الأسرة وعدم تطورها تطوراً يخرجها عن شخصيتها، أو يغيرها تغييراً يبعدها عن معطيات العمومية والشمولية والديمومة. أما إذا تساءلنا عن مصدر هذه الوحدة: وحدة الميزة، ووحدة الطابع، ووحدة الشخصية في الأسرة الإسلامية؟ ومصدر تلك الفرقة أو التفكك أو عدم التوازن في الأسرة الجاهلية؟

فالجواب: هو القوانين الصارمة التي تحكم الأسرة المسلمة، وتفتقدها الأسرة الجاهلية. فنظام الأسرة في الإسلام له محكمات وثوابت يقوم على أساسها، وسأسرد هذه المحكمات التي يجب أن نعمقها في أسرنا وأن نستذكرها دائمًا..

- **أولاً: أساس الأسرة في الإسلام العبودية لله عز وجل**



فالذي يجمع بين أفراد الأسرة في الإسلام ليس الرابطة الفطرية فقط، هذه موجودة في كل أسر العالم، حتى وضعوا عيدًا للأم وعيدًا للأب، بل يجمع أفراد الأسرة التعبُّد لله سبحانه، لقد قصَّ الله لنا في القرآن قصص أُسَرٍ كثيرة؛ كأسرة إبراهيم وأسرة يعقوب وأسرة موسى وأسرة نوح، وأسرة لوط..

قال الله عن إبراهيم ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢]. وكذلك يعقوب: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

ولما عصى ابن نوح أباه وخرج عن مقتضى العبودية، وسأل نوح ربه في أمر ابنه ماذا قال؟ ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦]، خرج من مقتضى العبودية، فأخرجه الله من مسمى الأهلية. ولما شذت امرأة لوط قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧].



فالأسرة في الإسلام تجمعها رابطة العقيدة والتوحيد، فصلاح الأسرة بصلاح عقيدتها وحُسْن إسلامها، ومتى خرج أحد أفراد هذه الأسرة عن هذا النظام فهو كما قال تعالى: ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

- **ثانيًا: من أعظم محكات هذه الأسرة أن نظام الأسرة في الإسلام قائم على حدود وأحكام**

ولقد جاء الأمر باحترام حدود الله والنهي عن تعديها في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

فإذا أردت لأسرتك النجاة والبُعد عن الظلم والطغيان، فالزم حدود الله؛ فللزوج حدود في النكاح وفي الطلاق، وفي النفقة والمعاشرة، في العدل عند التعدد، وفي الحضانة عند الشقاق والفراق، وفي المهر، وغيره. وعلى الزوجة حدود، من طاعة الزوج وعدم عصيانه في غير معصية الله، وتحريم النشوز، وعلى الأبناء حدود أعظمها بر والديهم، وطاعتهم في غير معصية الله.

وبالاستقراء، نلاحظ أن الأسرة الإسلامية تعود إلى مصدر واحد هو التشريع الإسلامي الرباني. هذا المصدر الذي استطاع أن يجمع قوى الفرد في بوتقة واحدة. أما الأسرة الجاهلية فيعود اختلافها وعدم تماسكها إلى تحكم هوى الإنسان فيها، فرداً أو جماعة، وخضوع هذا الهوى للظروف والملابسات مما يكثر العوامل التي تسيطر على الأسرة وتشكل تباينها، فلا تنضبط عندئذ بضابط واحد، ولا يشملها قانون يجمع مظاهر تنافرها.

وإذا أخذنا جزئيات من مميزات الأسرة كشكل الزواج، وتخصيص الأدوار، وحللناه وقارناه، نلاحظ ما قلناه واضحاً جلياً.

• ثالثًا: المحكم الثالث الأخلاق

فنظام الأسرة ليس عقدًا في شركة، وليس قانونًا له مواد وعليه عقوبات فقط، بل هو نظام أخلاقي أساسه المودة والرحمة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١].



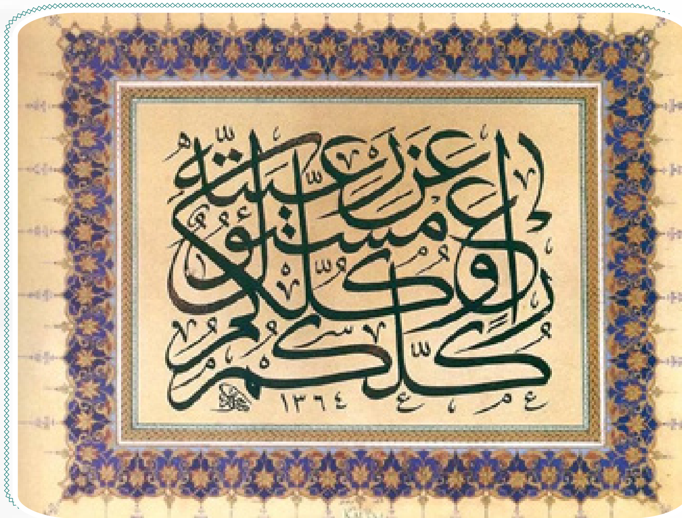
وقال تعالى في حق الزوجين: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧]، وقال تعالى في حق الأبناء مع والديهم: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥]، وقال تعالى: ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

فالعلاقة بين الزوجين علاقة مودة ورحمة، والعلاقة بين الأبناء والآباء والأمهات علاقة بر، وعلاقة الإخوة علاقة مغفرة وتسامح، ألا ترى كيف ضرب الله بيوسف مثلاً مع إخوته حتى كان آية للسائلين، كيف رفعه الله بعفوه وتسامحه معهم؟

رابعاً: من المحكات الإسلامية في نظام الأسرة أنها قائمة على المسؤولية

قال ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته». وهذه المسؤولية يُقصد بها أمران؛ المسؤولية عن المعاش، والمسؤولية عن المعاد.



فالوالدان لديهما المسؤولية الكاملة عن معاش الأبناء الذكور حتى سن البلوغ، والإناث تكريمًا لهنّ ورعايةً وصيانةً لهن حتى الزواج، ولو اغتنت بوظيفة أو غير ذلك. وللأسف يوجد آباء تخلوا تمامًا عن مسؤولياتهم الأخروية؛ الأب تحت مسمى البحث عن الرزق، وللأسف بعض الأمهات بحثًا عن الموضة والجمال.

وأعظم مسؤولية هي المسؤولية عن الدين، جاء في هذا الباب حديث عظيم: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشّ لرعيته إلا حرم اللهُ عليه الجنة»، وهذا يشمل الغش بالتقصير في كلا



الأمرين، وأساس هذه المسؤولية -يا عباد الله- الرفق فـ «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع عن شيء إلا شانه».

هذه الأحاديث تقرر قيام الأسرة الإسلامية في الحياة الاجتماعية على تخصص الأدوار؛ فهناك أهل، وبيت، وهناك مسؤولية ورعاية. فالرجل والمرأة متساويان في عملية الرعاية والمسؤولية ويحتاجان إلى نفس الجهود والأعباء، إلى نفس الإخلاص، ولكنهما يختلفان في أساس الدور المنوط بهما، فإن كانت مسؤولية ورعاية الرجل في أهله -ويشمل ذلك كل شيء بما فيه الزوجة- تجعل الرجل يقوم بالدور الأساسي في الأسرة داخل البيت وخارجه، فإن المسؤولية ورعاية المرأة ليست على النطاق الشامل الذي اختص به الرجل، بل على نطاق أضيق وأدق وأكثر تخصصاً، وهو نطاق بيت زوجها لا غير.

وكما يقول الأستاذ محمد مبارك: «إن موضوع الرجل والمرأة ليس اختيار إحدى الفكرتين التفضيل أو المساواة وإنما هو موضوع اختلاف في الخصائص، يقتضي اختلافاً في التخصص والعمل ويقتضي توزيع الأعمال بحسب الاستعدادات والخصائص، وذلك ما أخذ به الإسلام»[1].

ويرى المفسرون الجاهليون هذه الظاهرة لا تنفصل عن مرحلة الأبوّة التي أصبح فيها الرجل هو صاحب السلطة المطلقة، عندما انتقل الإنسان من مرحلة الصيد والرعي إلى مرحلة المجتمع الزراعي.

---

١ في كتابه: الفكر الإسلامي الحديث، ص١٨٤.

فسيطرة الزوج إذن ليست إلا سيطرة اقتصادية مرتبطة بمرحلة اجتماعية معينة؛ فهذه السيطرة ستفقد كل معانيها في مجتمع ما بعد التصنيع (بالنسبة للرأسمالية)، وفي المجتمع الشيوعي بعد المرحلة الاشتراكية (بالنسبة للشيوعية) ففي كل منهما سيتم استقلال المرأة عن الرجل استقلالاً تاماً على أساس اقتصادي مستقل. وهذا يخوّل لها الحرية التامة بكل معانيها المفتوحة على المجتمع.



وحتى لا يحدث تلاعب بهذه العلاقة تروح ضحيته الأسرة بما فيها من أولاد لهم الحق في أن يوفَّر لهم جو مناسب يتنفسون فيه السعادة، ويتربون دون ضجيج وإزعاج، جعل للرجل الحق في الطلاق مرتين، فإن طلق الثالثة سدّ أمامه هذا الطريق، وحرمت عليه المرأة حتى تتزوج غيره: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وحث الإسلام على استمرار هذه الرابطة، وكره قطعها من غير مبرر وشرع لذلك جملة تشريعات:

١ حث كل واحد من الزوجين على إحسان العلاقة بالآخر، والقيام بواجبه تجاهه مما يقلل فرص الشقاق، ويزرع الحب والمودة في قلب كل واحد منهما تجاه الآخر.

٢ حث على صبر كل واحد من الزوجين على ما يلاقيه من الآخر، ما دام ذلك ممكناً وما دام سبيلاً لاستمرار هذه العلاقة بشكل مقبول، وأثار في نفوس الأزواج الرغبة في دوام هذه الرابطة بفتحه نافذة المستقبل الواعد الزاهر الذي قد يترتب على هذه العلاقة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

٣ شرع العدة بعد الطلاق، وهي فترة يحق للزوج فيها مراجعة زوجته دون عقد جديد، فعسى أن تحنّ نفسه إلى مراجعة زوجته، وتحركه ذكرى الأيام الخوالي والذكريات السعيدة إلى ذلك، كما أنه قد يكتشف أسباباً للبقاء مع زوجته تفوق تلك التي من أجلها قطع هذه العلاقة.

٤ كما شرع التحكيم، وهو أن تتدخل أسرتا الزوجين إذا توترت العلاقة بينهما فيبعثون ﴿حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥] لدراسة أسباب الشقاق والبحث عن سبل لتجاوزها لإعادة سفينة الأسرة إلى بر الأمان ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

فبهذه كلها حافظ الإسلام على الأسرة، بالإضافة إلى ما ينشره في مجتمعه من حرص على الفضيلة وابتعاد عن الممارسات الضارة، كالأكاذيب والشائعات والعلاقات المشبوهة، التي غالباً ما تكون سبباً في دمار البيوت، وخراب العلاقات الاجتماعية، وذلك من أجل تحقيق المقاصد التي يعلقها الإسلام على الأسرة.

والحمد لله رب العالمين.

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



فقه الحج

هذه دورة عن فقه الحج قام بإلقائها فضيلة الدكتور ياسر النجار، تناول فيها أهمية الحج وإنه ركن من أركان الإسلام، وذكر الأدلة الشرعية، وأقوال العلماء بالتفصيل والتأصيل، ثم تكلم الشيخ عن تعريف الحج وأركانه وشروطه وعلى من يجب، وأنواع الحج وذكر ذلك في سبعة عشر محاضرة.

من أهداف الدورة:

- تغطية جزء من فقه العبادات مما لا يسع المسلم جهله.
- معرفة حكم الحج وهل يجب على الفور.
- معرفة خصال الاستطاعة المعتبرة شرعًا.
- معرفة الشروط الخاصة بالنساء في الحج.
- معرفة شروط صحة الحج.

يمكنك الاشتراك في الدورة من هنا

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

17 محاضرة — 10 ساعات

قصة الهجرة

دورة علمية تتناول حدث الهجرة كاملاً من بداية إرهاصات الهجرة إلى وصول النبي ﷺ المدينة، وأسبابها وأحداثها ونتائجها، وتبين ما ثبت وما لم يثبت من الوقائع التاريخية حول هذا الحدث العظيم، وتتناول حدث الهجرة النبوية بالتفصيل، وما الذي حدث مع النبي وأصحابه، والهجرة الأولى إلى الحبشة، ذكر الوفد الذين قدموا من الأنصار لبيعة رسول الله، وسرد حدث الهجرة على طريقة القراءة وإسقاطها على واقع المسلمين، حتى يستفيد من سردها كل مسلم ومسلمة.

9 محاضرات — 3 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

فِقهُ الصِّيام



مع فضيلة الشيخ الدكتور
جعفر الطلحاوي
أستاذ الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف

هي دورة علمية يقدمها فضيلة الشيخ الدكتور/ جعفر الطلحاوي في فقه الصيام وما يلحق به في عدة حلقات، تُقدم شرحاً تفصيلياً لفقه الصيام، وذكر القول الراجح من أقوال العلماء، كما تجيب على أكثر الأسئلة شيوعا وتكراراً في باب فقه الصيام، وذكر الراجح من أقوال العلماء في المسألة، دون الدخول في تفاصيل أقوال المذاهب، والمسائل الخلافية بينهم، وما يلحق به كـ (الاعتكاف - وزكاة - الفطر)، وهي دورة علمية بين يدي رمضان نصل بها إلى عموم المسلمين تعليماً وتفقها.

 20 محاضرة  8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة





دورة شرح الأرجوزة الميمية في ذكر حال أشرف البرية ﷺ، التي ألفها العلامة ابن أبي العز الحنفي الدمشقي في مئة بيت، ذكر فيها سيرة وحال النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، في أبيات على بحر الرجز ولذا سميت الأرجوزة، وقام بشرحها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر في كتاب تحت عنوان (القيم النبوية في الأرجوزة الميمية) في أربعة عشر لقاء في أكاديمية أنصار النبي ﷺ.

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

 15 محاضرة  5 ساعات



اضغط هنا للاشتراك في الدورة

دورة قواعد الإدارة النبوية يقدمها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر، يتناول فيها كيف كانت إدارة النبي ﷺ في التخطيط والتنظيم، والمتابعة، والمراقبة، والتوجيه، وكيف تعامل مع إدارة الأزمات، وإسقاط ذلك على واقع الإدارة الحديثة وآلية تفعيل هذه القواعد في وقتنا الحاضر، وذلك في عشر محاضرات.

 10 محاضرات

 3 ساعات







 30 محاضرة  10 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

دورة علمية تأصيلية في فقه الجهاد وأحكامه في الشريعة الإسلامية، قدمها فضيلة الدكتور عبد الحي يوسف، تناول فيها تعريف الجهاد وأنواعه ومراتبه ومراحل تشريعه، ثم استفاض الشيخ في التفصيل في مسائل الباب وبيان أحكامها وأدلتها وإنزال ذلك على واقع الجهاد في فلسطين.





دورة شرح العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ الدكتور الحسن الكتاني، شرح فيها كتاب العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ محمد يسري إبراهيم، وتوضح الدورة عقيدة المسلمين في بيت المقدس والمسجد الأقصى، ومكانة هذه المقدسات في الإسلام، وما يجب على المسلمين تجاهها، مع الرد على كافة الشبهات المثارة حول هذه المسألة.

 19 محاضرة  8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

سلسلة

السيرة النبوية

استعراض لوقائع السيرة النبوية
التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- الغزوات النبوية



الشيخ د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

سلسلة السيرة الفرنسية

السيرة النبوية

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين، تحقيقا لقوله تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾

- السيرة النبوية الفرنسية



محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

سلسلة شرح

كتاب الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.

سلسلة شرح كتاب الشفا



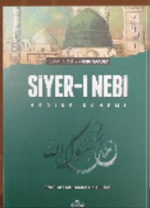
الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

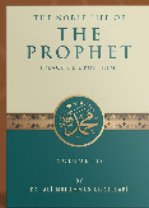
كتاب

السيرة النبوية

بعدة لغات











الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي

١ ٢

١ ٢ ٣

١ ٢

١ ٢








الأرجوزة الميئية
في ذكر حال أشرف البرية

التعليق على الأرجوزة الميئية
في ذكر حال أشرف البرية
لابن أبي العز الحنفي



الأرجوزة الميئية
في ذكر حال أشرف البرية

تعليق الشيخ: مختار بن العربي
عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ



كتاب
رياض الصالحين
للإمام النووي

زبدة أحاديث السنة النبوية كما
جمعها الإمام الكبير محيي الدين
شرف النووي



رابط الكتاب المسموع
يمكنك تحميله كتطبيق
على الهاتف من هنا

بصوت الدكتور: بسام صهيوني
عضو مجلس الأمناء للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾



أئمة الهدى

من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين



الشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك

رحمه الله*

أحياء عند ربهم يُرزقون

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٦-١٥٨].

---

* فيصل بن عبد العزيز المبارك، توفيق الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة/الرياض، ط١، ١٤١٦، ص٤٧٠-٤٧٨.

قال ابن إسحاق في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾... الآية: أي: لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، والضرب في الأرض في طاعة الله وطاعة رسوله، ويقولون إذا ماتوا أو قُتلوا ﴿لَو أَطَاعُونا مَا ماتُواْ أو قتلوا ليَجعل اللّهُ ذلكَ حسرةً في قُلوبِهم﴾ لقلة اليقين بربهم جل ثناؤه: ﴿وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، أي: يجعل ما يشاء، ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته: ﴿وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فيجازي كل عامل بعمله.



وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّم لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، أي: الموت كائن لا بد منه، فموت في سبيل الله أو قتل خير مما يجمعون في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللّه تُحْشَرُونَ﴾، قال ابن إسحاق: ﴿وَلَئِن مُّتّم أَوْ قُتِلْتُم﴾، أي: ذلك كان: ﴿لإِلَى اللّه تُحْشَرُونَ﴾، أي: أن إلى الله المرجع فلا تغرنكم الدنيا ولا تغتروا بها.

قوله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِن يَنصُرْكُمُ

اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٩: ١٦٠].

قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: ما مزيدة للتأكيد. قال قتادة: في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، يقول: فبرحمة من الله لنت لهم. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، أي: والله طهره من الفظاظة والغلظة، وجعله قريبًا رحيمًا بالمؤمنين رؤوفًا. قال ابن عباس: ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، قال: انصرفوا عنك.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، قال ابن إسحاق: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾، أي: فتجاوز عنهم: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ذنوب من قارف من أهل الإيمان منهم.

وقال قتادة في قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحي السماء، لأنه أطيب لأنفس القوم، وأن القوم إذا شاور بعضهم بعضًا وأرادوا بذلك وجه الله، عزم لهم على أرشده.

وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾، قال الربيع: أمره الله إن عزم على أمرٍ أن يمضي فيه ويتوكل عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، أي: النصر والخذلان بيده، يعز من يشاء ويذل من يشاء.



قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [١٦١-١٦٤].

قال ابن عباس: «إن هذه الآية نزلت ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر قال: فقال بعض الناس: أخذها رسول الله ﷺ. قال: فأكثروا في ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾». وقال الكلبي: «نزلت في غنائم أُحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة. وقالوا: نخشى أن يقول النبي ﷺ: من أخذ شيئًا فهو له. وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر. فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم. فقال لهم النبي ﷺ: «ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري»؟ قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفًا. فقال النبي ﷺ: «بل ظننتم أن نغل ولا نقسم». فأنزل الله تعالى هذه الآية».

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: سواء كان من الغنيمة أو الصدقة، أو غير ذلك، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «لا ألفينّ أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ينادي: يا محمد يا محمد. فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلّغتك».

وفي الحديث الآخر: «يا أيها الناس، مَن بعثناه على عمل ففعل شيئًا، جاء يوم القيامة على عنقه يحمله».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾، قال ابن إسحاق: ثم يجزى بكسبه غير مظلوم ولا معتدى عليه.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، قال الضحاك: وقوله: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ قال: من لم يغل كمن باء بسخط من الله؟ كمن غل؟ وقال ابن إسحاق: يقول: أفمن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوان من ربه، كمن باء بسخط من الله، فاستوجب غضبه، وكان مأواه جهنم وبئس المصير؟ أسَوَاءٌ المَثَلان؟ أي: فاعرفوا.

وقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، قال ابن عباس: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ﴾، يقول: بأعمالهم. ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، قال ابن إسحاق: يقول: إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته.



وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾، قال ابن إسحاق: أي: لقد منّ الله عليكم يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولاً من أنفسكم، يتلو عليكم آياته ويزكيكم، فما أخذتم وفيما عملتم، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ الخير والشر: الخير لتعرفوا فتعملوا به، والشر فتتقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذ أطعتموه لتستكثروا من طاعته، وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، فتخلصوا بذلك من نقمته، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته. وإن كنتم من قبل لفي ضلال مبين، أي: في عمى من الجاهلية لا تعرفون حسنة، ولا تستغيثون من سيئة، صم عن الحق، عمي عن الهدى.

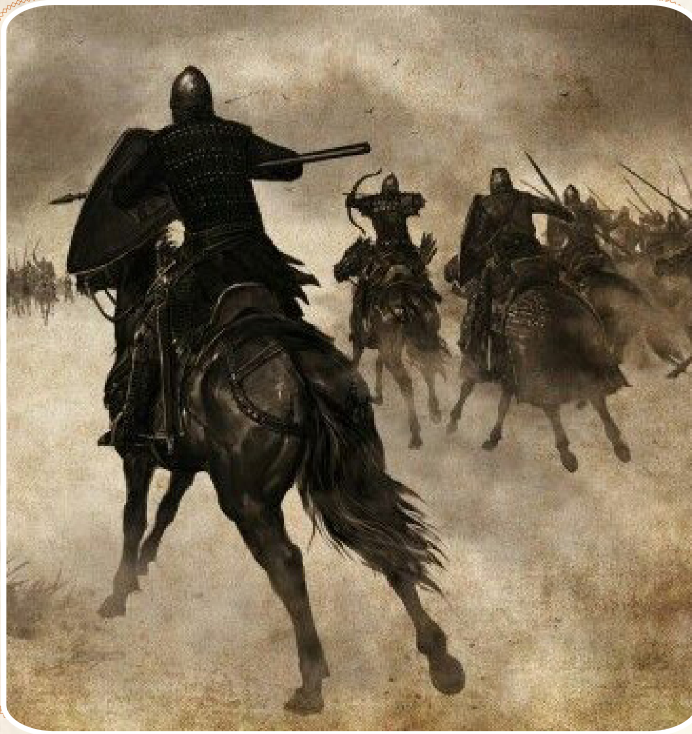
قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٥-١٦٨].

قال قتادة: أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة، وكانوا قد أصابوا مثليها يوم بدر، ممن قُتلوا وأُسروا، فقال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾، وقال عكرمة: قَتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين، وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين، فذلك قوله: ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ إذ نحن مسلمون نقاتل غضباً لله، وهؤلاء مشركون! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ عقوبة لكم بمعصيتكم النبي ﷺ حين قال ما قال. وقال الحسن: معصيتهم أنه قال لهم: لا تتبعوهم يوم أحد، فاتبعوهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ قال ابن إسحاق: أي: ما أصابكم حيث التقيتم أنتم وعدوكم، فبإذني كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري وصدقتم، وعدي؛ ليميز بين المنافقين والمؤمنين... ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ﴾، أي: ليظهروا ما فيهم.



وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾، قال ابن إسحاق: «خرج رسول الله ﷺ إلى أحد في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة، انخزل عنهم عبد الله بن أبيّ بن سلول بثلث الناس، فقال: أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حزم أخو بني سلمة يقول: يا قوم أذكّركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنّا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم. ومضى رسول الله ﷺ». يقول الله عز وجل: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾، أي: يخفون. وقال السدي في قوله: ﴿أَوِ ادْفَعُواْ﴾ يقول: أو كثروا.



وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، قال ابن إسحاق: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ﴾ الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم: لو أطاعونا ما قُتلوا. ﴿قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي: أنه لا بد من الموت، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا. قال السدي: هم عبد الله بن أبيّ وأصحابه.

قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب. مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم. قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب. فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم». فأنزل الله عز وجل على رسوله هؤلاء الآيات». رواه ابن جرير وغيره.

قوله عز وجل: ﴿الذِّينَ اسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [١٧٢-١٧٥].



قال ابن إسحاق: «كان يوم أحد السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذن: لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس. فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلف على إخواتك فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه، وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو، وليبغلهم أنه خرج في طلبهم، ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم».

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، قال قتادة: انطلق رسول الله ﷺ وعصابة من أصحابه بعدما انصرف أبو سفيان وأصحابه

من أحد خلفهم، حتى كانوا بذي الحليفة، فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم فيقولون: هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس. فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾، قال ابن إسحاق: ﴿وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ لما صرف عنهم من لقاء عدوهم. وقال ابن عباس: أطاعوا الله وابتغوا حاجتهم ولم يؤذهم أحد، ﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾، أي: يخوفكم بأوليائه، ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، قال مجاهد: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾ قال: يخوف المؤمنين بالكفار.

وقال ابن كثير: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾، أي: يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة. قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. أي: إذا سوّل لكم وأوهمكم، فتوكلوا عليّ والجأوا إليّ، فإني كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨]. والله أعلم.



د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني
رحمه الله*

ضيافة الشهداء عند ربهم

عن المقدام بن مَعْدِيكرب، عن رسول الله ﷺ قال: «للشهيد عند الله ستُّ خصال، يغفرُ له في أول دُفعة من دمه، ويُرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُحلّى حلية الإيمان، ويُزوّج من الحور العين، ويُشفَّع في سبعين إنسانًا من أقاربه»[1]. وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في وصف الحور العين: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا، ولنصيفها[2] على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[3].

---

* سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الجهاد في سبيل الله في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير/الرياض، ص٣٩-٤٦.

١ ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم ٢٧٩٩، والترمذي، كتاب الجهاد، باب ثواب الشهيد، برقم ١٦٦٣، وقال: «حسن صحيح»، وأخرجه أحمد، ٤/ ١٣١، ٤/ ٢٠٠، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٢٩، وفي مشكاة المصابيح، برقم ٢٨٣٤.

٢ نصيفها: يعني الخمار كما في رواية البخاري، برقم ٦٥٦٨.

٣ متفق عليه: البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، برقم ٢٧٩٢، ولفظه من الطرف رقم ٢٧٩٦، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، برقم ١٨٨٠.

دم الشهيد يوم القيامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يُكْلَم[٤] أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»[٥].

تمني الشهيد أن يقتل عشر مرات



عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد؛ لِما يرى من فضل الشهادة». وفي لفظ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة»[٦].

أرواح الشهداء تسرح في الجنة

سُئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قال: "أما إنا قد سألنا عن

---

٤ يكلم: يجرح، قال العلماء: الحكمة في بعثه كذلك: أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذله نفسه في طاعة الله تعالى. فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ٢٠.

٥ متفق عليه: البخاري، كتاب الجهاد، باب من يجرح في سبيل الله -عز وجل- برقم ٢٨٠٣، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، برقم ١٨٧٦.

٦ متفق عليه: البخاري، كتاب الجهاد، باب الحور العين وصفتهن، برقم ٢٧٩٥، والطرف رقم ٢٨١٧، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم ١٨٧٧.

ذلك، فقال ﷺ: «أرواحهم في جوف طير خُضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا»[٧].

- **ما يجد الشهيد من ألم القتل:** عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشهيد لا يجد مَسّ القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها»[٨].

- **فضل النفقة في سبيل الله تعالى**



قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وعن خزيم بن فاتك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أنفق نفقة في سبيل الله كُتبت له سبعمائة ضعف»[٩]. وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة[١٠] فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سَبعمائة ناقة كلها مخطومة»[١١].

---

٧ مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، برقم ١٨٨٧.

٨ النسائي، كتاب الجهاد، باب ما يجد الشهيد من ألم القتل، برقم ٣١٦٣، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم ٢٨٠٢، وقال الألباني في صحيح سنن النسائي، ٢/ ٦٦٥، وفي صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٠: «حسن صحيح».

٩ سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله، برقم ١٦٢٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ١٢٤.

١٠ مخطومة: خِطَام البعير أن يُؤْخذ حَبْل من ليف أو شعر أو كَتَّان فيُجْعَل في أحَد طَرَفيه حلَقة، ثم يُشَدّ فيه الطّرف الآخر حتى يَصِير كالحلْقة، ثُم يُقَاد البَعِير، ثم يُثَنّى على مَخْطِمه. النهاية في غريب الحديث، ٢/ ١٢٠.

١١ مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، برقم ١٨٩٢.

الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ * يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

الجهاد باب من أبواب الجنة

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة، ينجي الله به من الهمّ والغمّ»[١٢].

ما يُبلّغ منازل الشهداء

ويحصل هذا الخير العظيم لمن سأل الله الشهادة بصدق، فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[١٣]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن طلب الشهادة صادقًا أُعطيها، ولو لم تُصبه»[١٤].

---

١٢ أحمد، ٥/ ٣١٤، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٣٠، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/ ٧٥، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، ٥/ ٢٧٢، وقال: "رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وأحد أسانيد أحمد وغيره ثقات"، وحسن إسناده شعيب وعبد القادر الأرنؤوط في حاشيتهما على زاد المعاد لابن القيم، ٣/ ٧٧.

١٣ مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، برقم ١٩٠٨.

١٤ مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، برقم ١٩٠٨.

فضل المجاهدين على القاعدين

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

الرحمة والمغفرة للشهداء

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

القتل في سبيل الله يُكفِّر كل شيء إلا الدَّين



عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن»[١٥].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر لهم: أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قُتلتُ في

١٥ مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدَّين، برقم ١٨٨٦.

سبيل الله تُكفَّر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نعم، إن قُتلتَ في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر»، ثم قال رسول الله ﷺ: «كيف قلتَ؟» فقال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفَّر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك»[١٦].

•• المجاهد بنفسه وماله أفضل الناس



عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال ﷺ: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله». قال: ثم من؟ قال: «ثم مؤمن في شِعب من الشعاب يعبد اللهَ ربه، ويدع الناس من شرّه»[١٧].

•• مَن خرج من بيته مجاهدًا فمات فقد وقع أجره على الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

---

١٦ مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، برقم ١٨٨٥.

١٧ متفق عليه: البخاري، كتاب الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، برقم ٢٧٨٦، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، برقم ١٨٨٨.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «انتدب[١٨] الله لمن خرج في سبيله، لا يخرج إلا إيمانٌ بي وتصديقٌ برسلي، أن أُرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أُدخله الجنة، ولولا أن أشقّ على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أُقتل في سبيل الله، ثُمَّ أحيا، ثم أُقتل، ثُمّ أحيا، ثُمّ أُقتل».

وفي لفظ: «تكَفّل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته، أن يدخله الجنة، أو يُرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ»[١٩]. والأعمال بالنيات.

وقد روي في مسند الإمام أحمد: «من خرج من بيته مجاهدًا في سبيل الله عز وجل فخرّ عن دابته ومات، فقد وقع أجره على الله تعالى، أو لدغته دابة فمات فقد وقع أجره على الله، أو مات حتف أنفه، فقد وقع أجره على الله عز وجل»[٢٠].

وقال النبي ﷺ فيمن مات في الرباط في سبيل الله: «وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه وأمِن الفتّان»[٢١].

وهذا يؤكد فضل الموت في سبيل الله تعالى مرابطًا، والمعنى والله أعلم: إن مات في حال الرباط أُجري عليه أجر عمله الذي كان يعمله في حال رباطه، فينمو له عمله، وأجري عليه رزقه فيُرزَق في الجنة كما يُرزق الشهداء الذين تكون أرواحهم في حواصل الطير، تأكل من ثمر الجنة، ويُؤَمَّنُ من كل فتنة، وقيل: من فتاني القبر»[٢٢].

---

١٨ انتدب: أسرع بثوابه وحسن جزائه، وقيل: معناه أجاب إلى المراد، وقيل: معناه تكفل بالمطلوب. فتح الباري لابن حجر، ١/ ٩٣.

١٩ متفق عليه: البخاري واللفظ له، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، برقم ٣٦، ورقم ٢٧٨٧، ورقم ٣١٢٣، ورقم ٧٤٥٧، ورقم ٧٤٦٣، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، برقم ١٨٧٦.

٢٠ أحمد في المسند، ٢٦/ ٣٤٠، برقم ١٦٤١٤، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/ ٨٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٥/ ٥٠٣: «رواه أحمد، والطبراني، وفيه محمد بن إسحاق مدلس، وبقية رجال أحمد ثقات».

٢١ مسلم، برقم ١٩١٣، وتقدم تخريجه في فضل الرباط في سبيل الله تعالى.

٢٢ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣/ ٧٥٦.



اللواء الركن محمود شيت خطاب

رحمه الله*

كيف ننتصر على (إسرائيل)؟

السؤال الآن: كيف يمكن إنقاذ فلسطين؟

أ. العودة إلى الإسلام

بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء، لأن الجيوش التي تقاتل دون عقيدة لا تنتصر أبداً، والجيوش التي تقاتل بعقيدة لا تندحر أبداً.

لقد سمعنا مؤخراً من يزعم بأن من أهم أسباب انتصار (إسرائيل) على العرب هو تفوقها في العلم التطبيقي على العرب! وسمعنا من يزعم بأن من أهم أسباب انتصار (إسرائيل) على العرب هو تفوقها في السلاح الجوي على العرب، بل سمعنا من يزعم بأن من أهم أسباب اندحار العرب هو تمسكهم بالدين!

* محمود شيت خطاب، إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، ط٢، دار الفكر/دمشق، ١٣٩٣هـ، ص٣٧-٤٥.

والیوم نسمع بانتصارات فیتنام الشمالیة على الولایات المتحدة الأمریكیة، ولا یدعي عاقل بأن فیتنام متفوقة على أمریكا بالعلوم التطبیقیة وفي الجو.

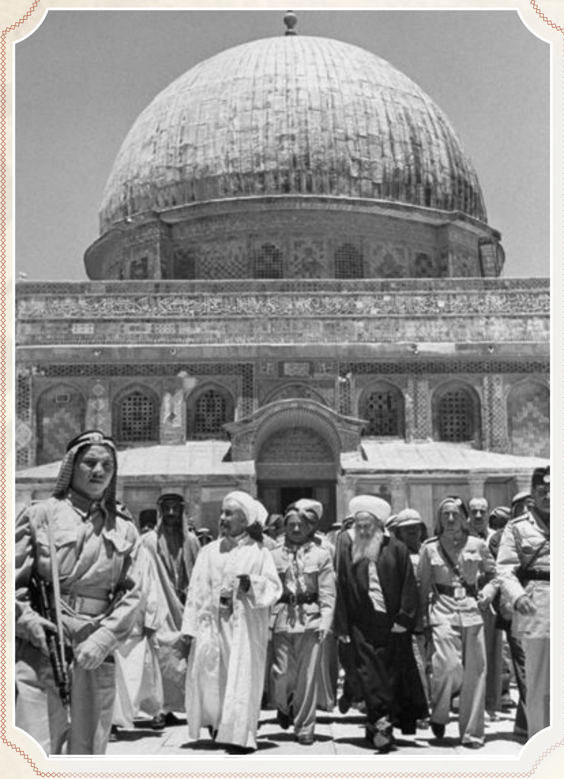


إن العامل البشري لا یزال هو العامل الحاسم في الحرب، ولا یزال هو القوة القاهرة لكل سلاح ولكل عتاد، ولكنّ البشر دون عقیدة غثاء كغثاء السیل، وللعرب عقیدة سماویة قادتهم إلى النصر، فكانت انتصاراتهم انتصارات عقیدة لا مراء، ولما ضعف العرب، صانتهم تلك العقیدة من التفسخ والانهیار. وهذا الأمر لا یصلح آخره إلا بما صلح به أوله: العودة إلى الإسلام من جدید.

- إن العودة إلى الإسلام، ستؤدي إلى إعلان الجهاد الإسلامي، وحینذاك سیكون في المیدان لمواجهة (إسرائیل) (٧٠) ملیون مقاتل من المسلمین، یستطیعون القضاء على (إسرائیل) حتى دون سلاح.

- إن العودة إلى الإسلام، تجعل من المسلم الحق مقاتلاً هدفه تحقیق إحدى الحسنیین: النصر أو الشهادة.

وسبیل العودة إلى الإسلام، هو في إعادة النظر في تربیة النشء ووضع مناهج تربیتهم على أسس مستمدة من تعالیم الدین الحنیف، والعمل بتعالیم الإسلام نصاً وروحاً.. إن تفشي التردي الخلقي بین أبنائنا لا یخدم أحداً غیر (إسرائیل)، فلمصلحة مَن تخرب بیوتنا بأیدینا؟!



إن إعداد (المعلم) إعداداً سليماً، هو مفتاح الإصلاح التربوي، فلا بد من إعارة هذه الناحية أعظم درجات الاهتمام.

إن العرب بالإسلام كل شيء.. والعرب بلا إسلام لا شيء، والتاريخ خير شاهد على ما أقول.

ب. توحيد الصف العربي

وترك المهاترات جانباً، وجعل قضية فلسطين الهدف الحيوي لتوحيد الصفوف.

ت. وضع الوحدة العسكرية العربية فوراً موضع التنفيذ

وتقوية القيادة العربية الموحدة مادياً ومعنوياً.. لقد كان من أهم أسباب إخفاق العرب في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، هو عدم وجود قيادة عربية موحدة، التي من واجبها استخدام القوات المناسبة والأسلحة المناسبة في المكان والزمان المناسبين.

كان الجيش العراقي يقاتل في تلك الحرب في منطقة جبلية، وكان لديه دروع لا فائدة منها في تلك المنطقة، وكان الجيش المصري يقاتل في تلك الحرب في منطقة مكشوفة، وكان محروماً من الدروع الضرورية للقتال في تلك المنطقة، وكان لدى الجيش العراقي مدافع من عيار (٢٥) رطلاً دون عتاد، وكان لدى الجيش المصري كميات ضخمة من عتاد مدافع (٢٥) رطلاً دون مدافع. فلو كان للعرب قيادة عربية

موحدة حينذاك، لنقلت دروع الجيش العراقي إلى الجيش المصري، ولنقلت عتاد مدافع عيار (٢٥) رطلاً من الجيش المصري إلى الجيش العراقي، ولما بقيت دروع الجيش العراقي ومدافعه وعتاد الجيش المصري كتلاً من الحديد لا جدوى فيه للمجهود الحربي.



وفي مؤتمر القمة الأول الذي عقد في القاهرة في الفترة من١٣ كانون الثاني (يناير) حتى ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ تقرر إنشاء قيادة عربية موحدة. وقد بذلت هذه القيادة جهوداً جبارة لخدمة المجهود الحربي العربي، ولكنها جُمِّدت قبيل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، فلم يظهر لها أي نشاط في تلك الحرب. يجب مطالبة المسؤولين العرب بإحياء هذه القيادة وإمدادها مادياً ومعنوياً، لأن تجميدها من مصلحة (إسرائيل)، ما في ذلك أدنى شك.

ث. تثبيت دروس النكبة العسكرية

والعمل بأمانة وإخلاص على معالجة الأخطاء التي حدثت فعلاً في حرب (إسرائيل). ولعل من أهم تلك الدروس، هي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب. لقد كان من أهم أسباب اندحار العرب في حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧، هو أن القيادات العربية لم تكن على مستوى المسؤولية، والنتيجة هي أن تلك القيادات لم تستطع إعداد الجيوش العربية للحرب قبل نشوبها، فلما نشبت الحرب لم تستطع تلك القيادات قيادة الجيوش العربية كما ينبغي.

ج. تقرير سياسة عربية موحدة تجاه (إسرائيل)



ومَن وراء (إسرائيل) من دول الاستعمار القديم والحديث.. إن السياسة العربية لم توحَّد حتى الآن، وهذا نقص لا بد من تلافيه.

ح. تقرير سياسة تعليمية موحدة

تُدخل العلوم التطبيقية في رحاب الجامعات وحشد الطاقات العلمية في صعيد واحد للعمل في ميدان تطوير الأسلحة وإنتاج السلاح الذري.. إني أنذر العرب والمسلمين، بأن (إسرائيل) أوشكت على إنتاج السلاح الذري، والحل الوحيد أمام العرب والمسلمين، هو إنتاج هذا السلاح.

لقد تعلمنا من تاريخ الحروب، بأن امتلاك سلاح جديد من طرف واحد يؤدي حتماً إلى استخدامه للقضاء على الطرف الثاني. في حرب عام ١٩٣٦ بين الحبشة وإيطاليا، استخدمت إيطاليا الغازات السامة في الحبشة، لأن الأحباش لم يكونوا يمتلكون السلاح الغازي.

وفي الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) بين المحور من جهة والحلفاء من جهة أخرى، لم تستخدم الغازات السامة لأن الطرفين المتحاربين كانا يمتلكان هذا السلاح. وعندما استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية إنتاج السلاح الذري، استعملته عام ١٩٤٥ ضد اليابان دون تردد، لأن اليابان لم تكن تمتلك هذا السلاح.

واليوم نجد الصراع مريراً بين المعسكرين الشرقي والغربي، ولكن هذين المعسكرين يحسبان ألف حساب قبل الإقدام على إعلان الحرب، لأن خسائر الحرب العالمية الثانية كانت نحو (٢٧) مليوناً من القتلى، والخبراء العسكريون يقدرون خسائر حرب ذرية بفناء ثلثي سكان العالم والقضاء على الحضارة العالمية.



يجب على الدول التي تمتلك المال أن تجاهد بمالها، والتي تمتلك الخبرات العلمية أن تجاهد بخبراتها، وإلا فلن تبقى الأموال ولا الخبرات إذا سبقت (إسرائيل) العرب بإنتاج السلاح الذري.. إني أنذر وأحذر، فهل من سميع مجيب، أم على قلوب أقفالها؟!

خ. حشد كل الطاقات المادية والمعنوية للمجهود الحربي

وتدريب كل القادرين على حمل السلاح على استعمال السلاح.. إن نفوس العرب مائة مليون نسمة، ومعنى ذلك أنهم يستطيعون حشد عشرة ملايين مقاتل في الميدان. ونفوس المسلمين (٧٠٠) مليوناً، ومعنى ذلك أنهم يستطيعون حشد (٧٠) مليوناً من المقاتلين في الميدان. فأين تكون (إسرائيل)، إذا أصبح العرب والمسلمون (حقاً) عند مسؤلياتهم دفاعاً عن عقيدتهم وشرفهم وأرضهم المقدسة؟

إن العرب والمسلمين متفوقون على (إسرائيل) مادياً ومعنوياً ولكن طاقاتهم دون نظام. ونفوس (إسرائيل) حسب آخر إحصاء قبل حرب حزيران عام ١٩٦٧ هو (٢.٢٢٦.٠٠٠) فاستطاعوا حشد (٢٨٠.٠٠٠)

مقاتل لحرب العرب، لأن طاقاتهم المادية والمعنوية منظمة. والطاقات المادية والمعنوية القليلة المنظمة، تتغلب دوماً على الطاقات المادية والمعنوية الكثيرة غير المنظمة. وما نحتاج إليه اليوم هو: النظام والتنظيم.

لقد استطاعت (إسرائيل) حشد ١١٪ من نفوسها للحرب بينما حشد العرب ٣ بالألف من نفوسهم! فماذا سيقول التاريخ عنا، وماذا سيقول عنا أولادنا وأحفادنا؟

د. الاستعداد لحرب طويلة الأمد حسب أسس قويمة رصينة، تخضع للعلم العسكري وللعقل السليم، إذ لا مكان في الحروب للعواطف والأهواء.

ذ. تقرير خطة إعلامية موحدة تكون على مستوى الأحداث



إن إطلاق التصريحات الهوائية لا تفيد العرب، وقد أضرت بمصلحتهم ضرراً بليغاً. وأجهزة الإعلام يجب أن تعتمد (الصدق) أولاً وأخيراً حتى يثق بها العرب والمسلمون قبل غيرهم، فقد مضى الوقت الذي كانت فيه تروج الأكاذيب! إن أجهزة الإعلام العالمية تعمل على تضليل أعدائها، وأجهزة الإعلام العربية والإسلامية تعمل على تضليل شعوبها!

إن أجهزة إعلام العرب والمسلمين، يجب أن تركز على أن العرب والمسلمين لا يعتمدون على أحد، ولكنهم يطالبون بحقهم. ويجب أن تتعلم هذه الأجهزة الأسلوب الإعلامي الحصيف من القرآن الكريم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]. لقد ذكر الإسلام: (يُقاتَلون) ولم يقل: (يُقاتِلون).

ر. إنشاء صندوق ثابت لفلسطين



لجمع الأموال من الحكومات والشعوب لدعم الفدائيين وعلى رأسهم منظمة (فتح) والمجهود الحربي العربي.

ز. التعاون الاقتصادي بين العرب والمسلمين بغير حدود

فمن الحرام أن نستورد شيئاً من دولة أجنبية تنتج مثله أو أفضل منه دولة عربية أو إسلامية.

س. التنسيق الكامل للإنتاج الحربي بين الدول العربية والإسلامية، والتخطيط للاكتفاء الذاتي في التسلح.

ش. التعاون مع المسلمين بكل مكان

في كل المجالات التي تهدف إلى إنقاذ فلسطين.. إن من المهم أن نضع الدول الإسلامية عند مسئولياتها التاريخية. إنَّ القدس ليست للعرب وحدهم، بل للمسلمين، والعرب لا يصاولون (إسرائيل) وحدها بل يصاولون الصهيونية العالمية ومَن وراء (إسرائيل). لذلك يجب أن يكون إنقاذ فلسطين واجباً إسلامياً لا واجباً عربياً فقط. قال لي سفير الأفغان في بغداد: «إن كابول عاصمة الأفغان سقطت بيد العشائر الأفغانية التي طوقتها من كل جانب وهي تهتف: اندحر سادتنا العرب واحتل اليهود القدس الشريف، فابعثونا إلى فلسطين للجهاد». وقد قبضت القبائل الأفغانية على وزير الخارجية الأفغاني، وأرادت ذبحه ذبح الخراف.

في كل بلد إسلامي مأتم ومناحة على القدس، فلماذا لا نحاول أن نبلور هذا الشعور الطيب إلى جهاد مقدس؟!

ص. إن الفدائيين العرب بحاجة إلى المال وإلى السلاح

ولقد زرت معسكراً من معسكراتهم فوجدت أربعة فدائيين يتناولون علبة صغيرة من سمك (السردين)! ولقد استشهد عدد عديد من الفدائيين في ميدان الشرف، فهل تعلمون كيف تعيش عوائلهم التي خلفوها وراءهم دون معيل. هؤلاء الفدائيون أعادوا بعض ماء الوجه للعرب، وقدموا أرواحهم رخيصة في حرب (إسرائيل). يجب أن نجوع ليشبعوا، ويجب أن نلتحف الثرى ونشد البطون ونتخلى عن الترف، لكي نمدهم بالسلاح والتجهيزات والمال.

ض. تحصين القرى الأمامية

والأخذ بنظام (حرس الحدود) كما هو الحال في (إسرائيل).. إن تحصين القرى الأمامية ووضع حرس لها، يرفع معنويات أهلها أولاً، ويجعلها أكثر أمناً عند هجوم العدو عليها ثانياً، ويكوِّن منها قواعد أمامية في حالة الهجوم على (إسرائيل). لقد كان من واجب العرب أن يفعلوا ذلك بعد حرب عام ١٩٤٨، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً!

وكان من المؤمل أن يفعلوا ذلك بعد حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧، ولكنهم حتى الآن لم يفعلوا شيئاً.. إن المؤمن لا يُلدَغ من جحر مرتين، إلا العرب فإنهم يُلدغون ألف مرة، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون!

إن تحصين القرى الأمامية يحتاج إلى أموال ضخمة، فلا بد من تعاون العرب والمسلمين في تحصين القرى الأمامية -خاصة المنطقة الأردنية التي يبلغ طولها نحو (٦٨٠) كلم- مادياً لإخراج هذا العمل الحيوي إلى حيز التنفيذ.

أمجاد المسلمين في الهند

أ د. أحمد محمود الساداتي

رحمه الله*

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين، والصلاة والسلام على خير المرسلين.

شبه القارة الهندية التي تضم اليوم دولتي باكستان الإسلامية والهند الهندوكية[1] بدأ أظهر أدوارها التاريخية -على إجماع من المؤرخين- بالفتوحات الإسلامية، وأخصها تلك التي توغل فيها الغزنويون، ومن جاء من بعدهم بهذه البلاد منذ أواخر القرن الرابع الهجري، وصحبهم فيها جملة من العلماء والمؤرخين والرحالة المسلمين، الذين درسوا أحوال الهند وكشفوا عما كان بها من حضارات ومدنيات عريقة تقصّوا أسسها و تفصيلاتها.

---

* أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ط: مكتبة الآداب/القاهرة، ١٩٥٤م، المقدمة.

١ لفظ هندوكي أو هندوسى - وهو معرب - غدا عند كتّاب العربية المحدثين علما على أصحاب العقائد الهندية القديمة من سكان شبه القارة الهندية، وهو ما ذهبنا إليه في هذا الكتاب.

وتاريخ شبه القارة الهندية القديم، فيما قبل فتوح المسلمين، غالبيته الغالبة عموماً يكتنفها الغموض الشديد. ولولا القليل منه الذي استشفه المؤرخون من الكتب الهندية الدينية القديمة، مثل الويدا والمهابهارتا، ومن أكداس أساطير الهنود القدماء، وما وصل إلينا من تدوينات جوّابي هذه البلاد في الأزمنة الغابرة من أمثال السفير الإغريقي (ميغا ستين) والراهبين الصينيين البوذيين (هيون تسيانغ) و(فاهيان)، لظل ماضي هذه البلاد مجهولاً إلى درجة كبيرة. ذلك أن آثارها وعادياتها القديمة التي اكتشفت حتى اليوم، لا تعد في الغالب ثبتاً وثيقاً مفصلاً لماضيها على نطاق واسع نظير ما عند مصر واليونان.

والمسلمون الذين أسهموا في حفظ تراث اليونان وزادوا عليه، هم أنفسهم الذين أظهروا العالم على الكثير من تراث الهند الذي اطلعوا عليه فجر الإسلام ومطلع ضحاه، فحبب إليهم الاستزادة بما عند غيرهم من مختلف فنون المعرفة[٢] ودفعهم إلى طلبها.

صنع المسلمون ذلك ولم يكن قد مضى عليهم بالهند أكثر من قرن واحد من الزمان، ولم يكونوا يملكون من أراضيها إلا ولاية واحدة صغيرة بالقياس إلى مساحة الإقليم الشاسعة هي السند التي كانوا قد دخلوها أواخر القرن الأول الهجري.



٢. Havell, E.B. The History of Aryan Rule in India. London nd. P.254-56. هذا وننبه هنا إلى أن تراث الهند كان بدوره قد تأثر بالثقافة اليونانية التي حملها الإسكندر المقدوني إلى هذه البلاد حين غزاها فأقام بعض قواده دويلات إغريقية بأطرافها.

أوغل المسلمون ابتداء من أواخر القرن الرابع الهجري في هذه البلاد، فإذا بعلمائهم يقفون على ما عند الهنود من فنون المعرفة الكثيرة، على نطاق واسع، من أفواه المشتغلين بها من رجالهم بعد ما كانوا قد اطلعوا على قدر منها في بطون كتبهم، ويتعرفون على أحوالهم وعقائدهم بمخالطتهم ومسائلة كهنتهم ورهبانهم ومناظرة فلاسفتهم. وكان إمام هؤلاء العلماء الأعلام جميعاً العلامة أبو الريحان البيروني العارف بلغات الهند. وفيما تركه من كتب قيمة عن هذه البلاد ثبت لذلك كله.



واستقر الفاتحون بعد قليل بالبلاد التي فتحوها، فحُفظت بذلك أموال الهند وثرواتها عليها بعد أن كان الغزاة يحملون معهم الكثير منها إلى بلادهم.

واستعصى المسلمون على البوتقة الهندية التي انصهر فيها السيث والهون وكل الغزاة الذين دخلوا الهند من قبل. ليس هذا فحسب، بل إن هؤلاء على قلة عددهم ما لبثت عقيدتهم السمحة الفتية بمبادئها الإنسانية الرفيعة ونظمها الاجتماعية القائمة على المساواة التامة بين معتنقيها، والتي لا تعترف بنظام الطبقات، أن طفقت تجتذب إلى صفوفها ألوفاً وألوفاً من الهنود في ازدياد متدرج، فهم اليوم بشبه القارة هذه يزيد عددهم على مائة المليون.

---

٣ اللغة الأوردوية، أوسع لغات شبه القارة الهندية انتشاراً اليوم، هي من مشتقات لغات المسلمين، وتكتب بالحروف العربية.

وما لبثت لغتهم وفنونهم أن صارت إلى لغات المسلمين وفنونهم في الغالب[٣]. ذلك أن الفاتحين كفلوا، بقوة عقيدتهم ومدنيتهم، دخول شعوب البلاد التي فتحوها في ملتهم، دون إرهاق أو عنت، والإقبال على حضارتهم، بل والعمل على ازدهارها في همة وعناية، على ما قال به المؤرخون المنصفون من غير المسلمين وفيهم الهنادكة.

والمسلمون بناة حضارات أينما حلوا ونزلوا. وفي طبيعة الإسلام أنه يدفع دائماً بعجلة الحضارة والمدنية إلى السير من جديد في كل بلد يدخله. وأصحابه حين توغلوا بالهند، ومعهم حضارتهم، التي كانت قد بلغت خارج هذه البلاد درجة عالية من الرقي، لم يهملوا أمر حضارة الهند وثقافتها، بل شغلوا بها وانهمك علماؤهم في كل العصور في النقل منها، حتى ترجموا أقساماً من المهابهارتا نفسها.. سِفر الهنادكة المقدس. وكان من بين السلاطين المسلمين مَن حض الهنادكة أنفسهم على الاشتغال بتراثهم القديم والكشف عن ماضي بلادهم، وبذل لهم في ذلك العون والمساعدة.



ولا تجد -حتى عند أشد المؤرخين الهنادكة كراهية للحكم الإسلامي- إشارة واحدة إلى إحراق المسلمين لكتب الهنادكة وأسفارهم أو إتلافها.

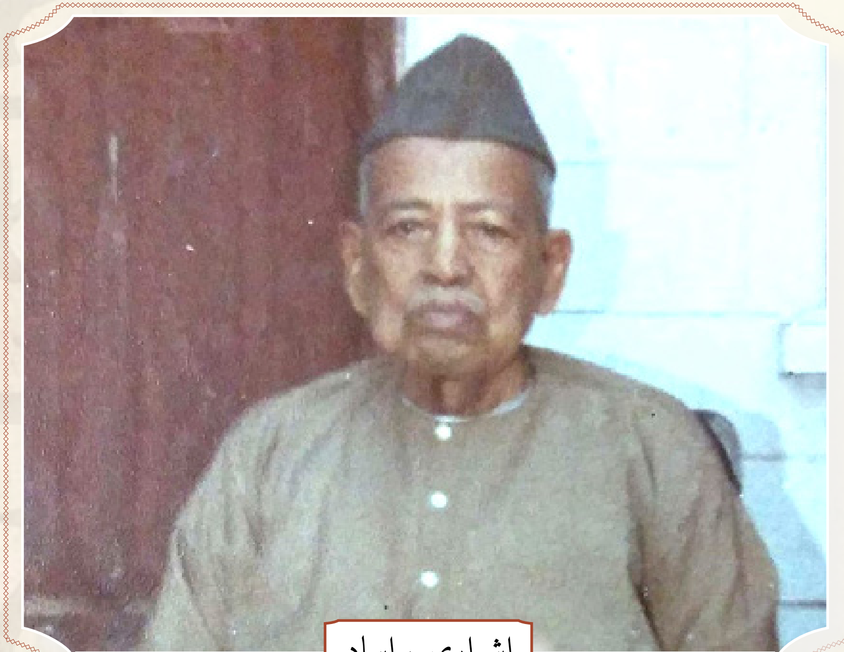
ولئن كان المسلمون قد هدموا جملة من المعابد الهندوكية وحطموا ما بها من أصنام، قضاءً على الشرك والوثنية -ولم

يكن ذلك يحدث عادة إلا إبان الحروب وفي المدن الكبرى ليس غير- فإنهم لم يرغموا أحداً من الهنادكة في الغالب على اعتناق ملتهم، فمن دخل فيها منهم كان ذلك دون إكراه أو عنت، فمارس الهنادكة الذين بقوا على دينهم، طقوسهم الدينية في حرية تامة، ولم يُمنعوا حتى من إقامة معابد جديدة لهم إلا في أحوال قليلة.

هذا كما اضطلع جملة منهم بوظائف الدولة، وتولوا إدارة شئون البلاد عموماً إلا في العواصم والمدن الكبرى. وبلغ كثيرون ممن أسلموا منهم مناصب القيادة والوزارة.

وما عاناه عامة الهنادكة من بؤس وشقاء، في بعض العهود، قد شاركهم فيه عامة المسلمين فى الغالب كذلك، حيث يتسم العصر الوسيط بوجود هوات سحيقة في الثراء ورغد العيش تفصل بين أرباب الدولة والتجار والعامة.

وهاهو ذا المؤرخ الهندوكي المعاصر (إشواري براساد) يقرر صراحة بأن الحكم الإسلامي في شبه القارة الهندية كان فيه الكثير من الخير، ويرد ما يسمو به المجتمع في هذه البلاد اليوم من الخصال الحميدة وما يروج فيه من رسوم وعادات راقية إلى تقاليد هؤلاء



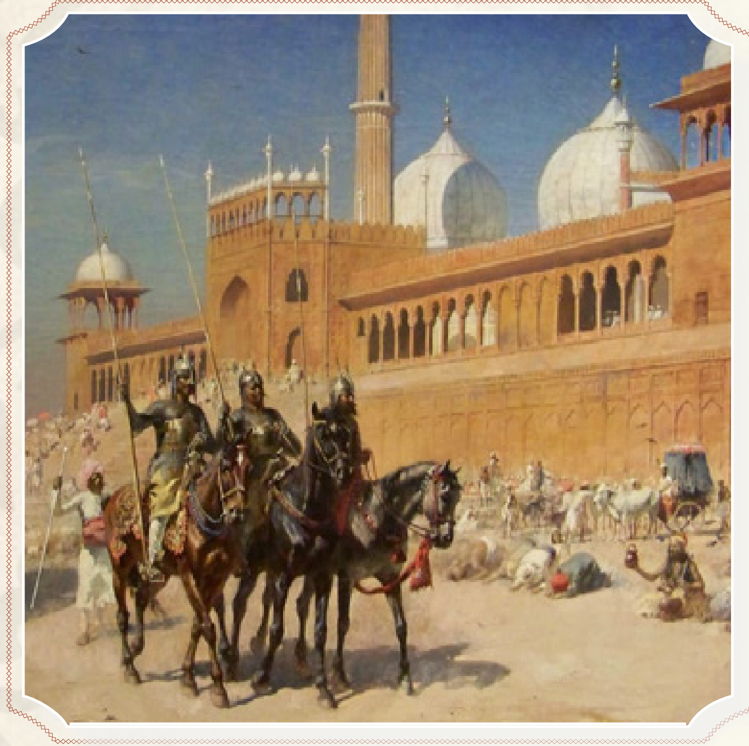
إشواري براساد

---

٤. Prasad. Med. India. PP xxxvl

الفاتحين[٤] ونفوذ الإسلام فى جميع نواحي الحياة الاجتماعية بها، ذلك النفوذ الذي يظهر أثره جلياً في تعاليم كبار المصلحين الدينيين الهنادكة أنفسهم من أمثال (كبير) و(نانك) الزعيمين السكيين المشهورين.

والمسلمون هم الذين وحدوا الهندستان في دولة واحدة بعد أن كانت في الغالب نهباً لملوك طوائف متقاتلين فيما بينهم على الدوام -وليس بخافٍ أن الخضوع لقانون واحد هو الركن الأساسي الذي يقوم عليه المجتمع- ونهضوا من بعد ذلك بهذه البلاد نهضة رائعة ظهرت آيات الإبداع الواضح فيها فيما خلفوه من آثار علمية وفنية وأدبية ومنشآت وعمائر عديدة فخمة نافعة.



والإسلام كان بالهند، وغير الهند من البلاد التي فتحها المسلمون، ديناً وحكماً ومدنيةً، دخل في حياة الناس العامة والخاصة. وأدى توحيده بين شتى عناصر معتنقيه وعروقهم وحَدبه على التآلف بين أفكار الأجناس والشعوب التي تدين به، إلى أن تَولد في نفوس أبناء هذه الشعوب ميول واحدة ظهرت واضحة قوية أكيدة في مناسبات متعددة، وكان أعظم مظاهرها تساندها جميعاً في مواجهة الاستعمار الأوروبي في قوة وعزم يبشران بقرب استرداد العالم الإسلامي لسابق مجده وعزته .



الشيخ نور عالم خليل أميني

رحمه الله*

قلاعٌ حصينة للدين

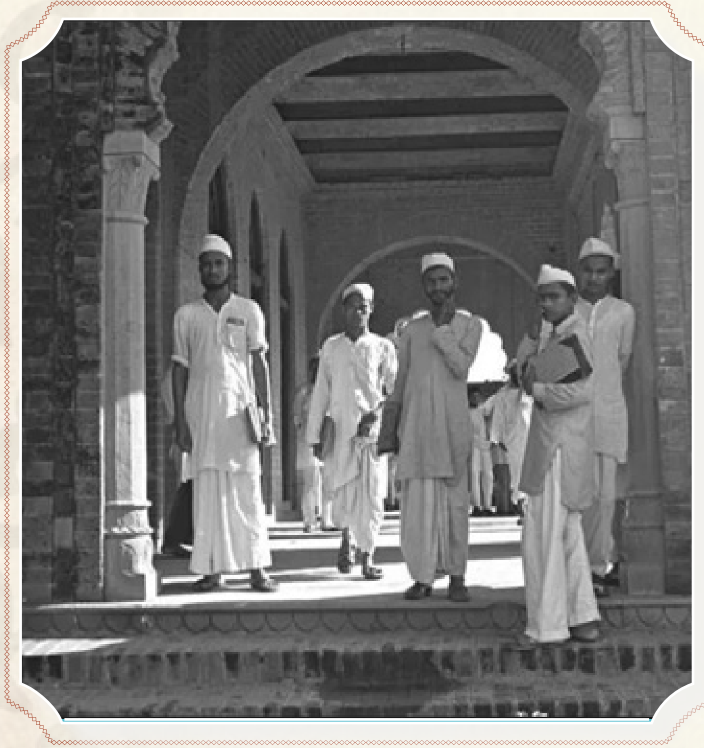
المدرسة في شبه القارة الهندية

لقد بدأت المدارس والجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية عامها الدراسي في شهر شوال ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ ككل الأعوام الدراسية، وتم قبول الطلاب الجدد، كما تم نقل الطلاب القدامى إلى السنوات الأعلى، وانتهت عملية الترتيبات اللازمة لبداية التعليم، وبدأ التعليم فعلاً.

---

* الشيخ نور عالم خليل أميني، المسلمون في الهند بين خدعة الديمقراطية وأكذوبة العلمانية، ط: دار الصحوة للنشر/ القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص٦٩-٨٠.

وإن الشيء الجدير بالملاحظة في هذه المناسبة أن عدد الطلاب يتزايد كل عام، كما تتزايد المدارس، رغم أن المتخرجين في هذه الجامعات والمدارس الإسلامية الأهلية والحائزين على شهاداتها، لا يجدون أمامهم فرصة المناصب الرسمية والوظائف الحكومية ذات الرواتب المرغوب فيها، ولا تقبلهم الجامعات والكليات الحكومية -إلا استثناء- أساتذة ومدرسين عندها.



ورغم ذلك فإن نسبة الطلاب ترتفع في كل من هذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية، التي تسير بتبرعات المسلمين وحدهم، ولا تقبل أي معونة من الحكومة، ويزداد إقبال أفلاذ أكباد المسلمين عليها، مما يدل على أن الوعي الديني بات يزداد في المسلمين، وأن الشعور بصيانة العقيدة، وتحصين الشريعة، وحماية الجيل الناشيء من الذوبان في العقائد وتعاليم الديانات المختلفة -والهند من أخصب بلاد الله ديانة- قد أخذ حظه بالفعل في قلوبهم، وذاك شيء جدير بالإشارة والتسجيل. وإن ذلك يرجع إلى طبيعة الصراع الذي فُرض عليهم أن يعيشوه مع المواطنين الهندوس، وهم الأغلبية الكاسحة، حيث جعلوا المسلمين بمواقفهم غير المعقولة يشعرون أن كيانهم الديني غير مأمون، وأن وجودهم العقيدي في خطر شديد.

إن طبيعة الصراع بين أمتين يبعث كلاً منهما على إعداد العدة وصنع القوة، والعناية بمرتكزاتها العقيدية والحضارية والثقافية.. حتى لا يمسها أحد بسوء.

كم من محاولات وكم من مساعٍ بُذلت وتُبذل من أجل القضاء على الكيان الإسلامي في الهند، ومن أجل نزع النشء الإسلامي من حضن الدين والعقيدة، ومن أجل إرغام المسلمين على أن يتخلوا -إذا أرادوا أن يعيشوا في هذا البلد- كلياً أو جزئياً عن شريعتهم ومقتضى دينهم، وعن شخصيتهم الإسلامية المتميزة، وأن يذوبوا في بوتقة الشخصية الوطنية العلمانية العامة.. ولكن المسلمين بفضل من الله وحده لم يقبلوا ذلك في قليل أو كثير، بل ازدادوا عناية بما يحمي دينهم، ويصون شريعتهم، ويمنع شخصيتهم من الذوبان، ويمنع جيلهم الجديد من الارتماء في حضن المعتقدات الخرافية والتقاليد والطقوس الوثنية.

وإن هذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية -كما قلت مراراً- قلاع حصينة للدين، وهي التي تضمن للمسلمين بقاءهم وبقاء دينهم مع جميع مزاياهم الحضارية والثقافية، ولولاها لما كان لهم هذا الكيان الديني الشامخ المستقل الصلب الذي لا يقبل أي عملية للكسر والتذويب والدمج.. فهي التي تُخرج لهم علماء الكتاب والسُّنة، ودعاة الدين، وخطباء الإسلام، وأئمة المساجد، وقادة الفكر، ورجال التربية والتعليم، وزعماء الإصلاح، وكتاباً ومؤلفين في المواضيع الإسلامية وصحفيين إسلاميين، وأدباء الدعوة والتبليغ، وأساتذة الدراسات الإسلامية، والباحثين في علوم الكتاب والسنة، وعلماء العربية بآدابها وفنونها وصانعي الرجال، ومُخرجي الأبطال، ومُربي الأجيال..



مدرسة علاء الدين الخلجي

فليهنأ للمسلمين شعورهم الديني المتزايد، وليهنأ للمدارس والجامعات الإسلامية هذا الامتداد والانتشار، وليهنأ للجيل الإسلامي الناشئ هذا الإقبال المطلوب على دور التعليم والتربية ومراكز الإشعاع الفكري والعقيدي..

ماذا تعني المدرسة في الهند؟

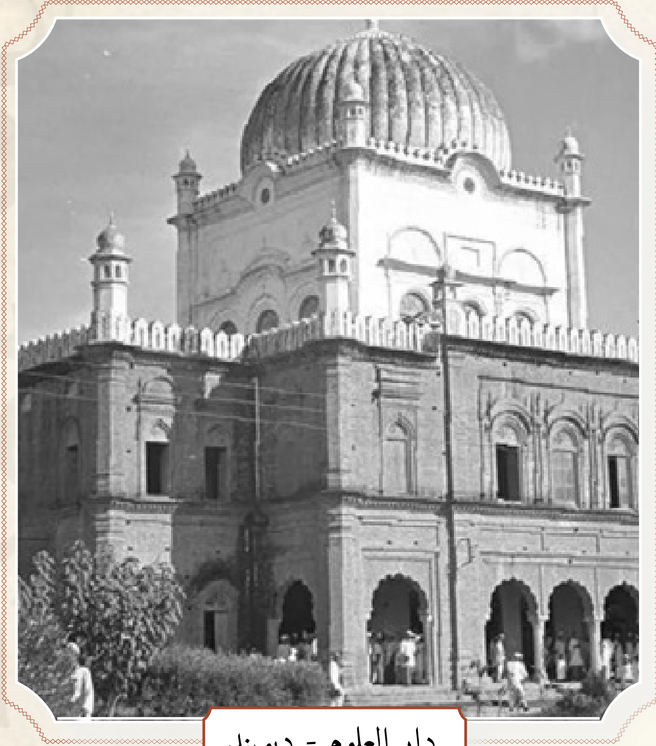


مدرسة فيروز شاه التغلقي

إن المرابطين على الثغر الإسلامي في الهند كانوا عقلاء أذكياء يوم شادوا للحفاظ على الكيان الإسلامي في مدى البلاد معاقل حصينة في صورة المدارس والمعاهد، إنهم رأوا أنه لا يمكن الوقوف في وجه الخصوم الفاتحين -أعني الإنجليز والقساوسة ورجال الإرساليات التبشيرية- الذين يملكون الحول والطول، والجنود البنود، ويتمتعون بأكبر سلطة وقوة على وجه الأرض في عصرهم، وحكومات موحدة الأركان، ومملكة شامخة البنيان لا تغرب عنها الشمس، لا يمكن الوقوف في وجههم بسلاح الحديد والنار، ولا سبيل إلى مقاومة زحفهم العقائدي الذي يمده زحفهم الاستعماري السياسي بشن معركة مكشوفة في الميدان تنفع فيها قوة الساعد والسنان.

ولقد جربوا -فعلاً- محاولات عديدة للتخلص وخاضوا معارك عديدة، ولكنها باءت بالفشل، وكان آخرها تلك المعركة التي خاضوها مع الإنجليز في ميدان قرية «شاملي» (الواقعة على مقربة نحو خمسين ميلاً من

مدينة «ديوبند» التي تحتضن أكبر وأقدم جامعة إسلامية خاصة بالمسلمين، الكتيبة المؤمنة المؤلفة من خلاصة عباد الله المخلصين، والعلماء العاملين، وعلى رأسهم الإمام «محمد قاسم النانوتوى» أحد مؤسسي جامعة ديوبند، والحاج الصالح «إمداد الله» المعروف بالمهاجر المكي، والعلامة الفقيه «رشيد أحمد الكنكوهي» والحافظ ضامن (الذي وقع شهيداً على أرض المعركة) وغيرهم، ذلك لأن السلطة الحاكمة لا تقاوَم إلا بسلطة مثلها.



دار العلوم - ديوبند

ولهذا كان من المحتم إنشاء معاقل منيعة يهجمون منها على أوكار العدو، وتتكسر على صخرتها كل هجمة تصطدم بها، ويربون داخلها الصفوة المختارة، والخلاصة المصطفاة من فتيان الإسلام تربيةً دينيةً وإيمانيةً صحيحة، ويدججونهم بالأسلحة العلمية من كل نوع ينفع في المعركة، وتكون بمثابة مراكز النوعية والإشعاع الديني والعلمي، والثقافي والتربوي، الذي يرجع إليه الشعب المسلم في كل شأن من شئون دينه وعقيدته، ويشحن هناك بطاريته الإيمانية، وتكون كذلك بمثابة ثكنات إسلامية تمتلئ بقوات مسلحة مدربة ذات غناء وكفاءة لدى كل معركة بين الجاهلية والإسلام، وبين لهيب أبي لهب وسراج النبي محمد ﷺ.. طبقاً لتعبير الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال رحمه الله.

ولم تكن هذه الخطوة أمراً هيناً، وإنما كانت دعوة للموت الزؤام؛ وذلك لأن الإنجليز -هم الآخرون- نظروا إلى هذه المدارس باعتبارها ثكنات إسلامية، فقد كانوا أذكياء في السياسة، يدركون خطورة الأمر

قبل تمامه، ويتبينون أعقاب الأمور بالنظر إلى صدورها مهما كانت أشباهاً ملتوية. فحسبوا هذا الأمر حساباً دقيقاً، وتتبعوا المحاولات الإسلامية الهادفة إلى هذه الناحية، وصبّوا الويلات على أبطالها، والدليل على ذلك مثلاً قصة تعقب ومحاولات اعتقال الإمام «محمد قاسم النانوتوي»، والشيخ الحاج عابد حسين، من مؤسسي جامعة ديوبند، وغيرهما، تلك المحاولات التي دأبت عليها السلطة الإنجليزية حتى قضوا نحبهم وما بدلوا تبديلاً.. وعلى ذلك فكم من أبطال المرابطين على الثغر الإسلامي -بأسلوب من أساليب المرابطة- عُذب، وشُرد، ونُفي، وقُتل، وأُهين.

يتضح من ذلك أن «المدرسة» إذا كانت تعني في بلد ما مؤسسة تعليمية تلقن العلم والمعرفة فقط، وتزود الطلاب بالمعلومات الثقافية وحدها، فإنها في شبه القارة الهندية أعمق من ذلك وأوسع، وأشمل وأدق، إنها تعني تلك الأهداف السامية التي أشرنا إليها آنفاً، إنها بمنزلة آلة تنفخ الحياة في كيان المسلمين الديني، إنها وسيلة وحيدة لإبقاء المسلمين على الإسلام في هذه الديار، إن المسلمين ههنا يحتاجون إليها احتياج الجائع إلى الغذاء والمريض إلى الدواء، والعريان إلى الكساء، بل السمك إلى الماء.

وإن مما يجدر بالتسجيل والملاحظة أن المسلمين الهنود لا يطلقون كلمة «المدرسة» إلا على المدارس العربية الإسلامية الأهلية التي أقاموها لتلك الأغراض العظيمة، أما المدارس الحكومية فلا يدعونها إلا بكلمة «سكول» الإنجليزية التي دخلت في اللغة الأردية، ثم إنهم توسعوا في كلمة «المدرسة» فأطلقوها على صُغرى المدارس مثل الكتاتيب، وعلى كبرى المدارس حتى التي تعدل الجامعات.

وإذا كانت المدرسة قد أدت فيما قبل استقلال الهند وتقسيمها ذلك الدور الجامع، فإنها تؤدي اليوم دوراً لا يقل عن الأول، بل قد يفوقه بالقياس إلى الظروف والملابسات التي خلقها الاستقلال والتقسيم،

والعصبيات الطائفية التي عمل الإنجليز على بث سمومها في المجتمع الهندي، وزرع الإحن والعداوة والحقد فيما بين الهندوس والمسلمين، وما جلوا عن الهند حتى ثبّتوا الشعور في قلوب المواطنين الهنادك بأن المسلمين هم خطرهم الحقيقي ومنافسهم الوحيد، وعدوهم الطبيعي في هذه البلاد.



ولقد تحولت الهند بعد الاستقلال إلى دولة علمانية، وقرر واضعو الدستور أن الحكومة لا تتعرض لدين المواطنين وعقيدتهم نفياً أو إثباتاً، ولا تعلمهم ذلك في مدارسها وجامعاتها إلا كمادة المعارف العامة، لأن الهند ذات ألوان وأشكال من الأديان والنِّحل. فليكن الحبل في هذا الشأن متروكاً على غارب المواطنين، هنالك برز دور هذه المدارس، لأن المسلمين لم تعد لديهم وسيلة إلى تعلم الدين والعقيدة، والكتاب والسُّنة، والاسترشاد في الشئون والقضايا الدينية، والاستعانة فيما يتعلق بالحفاظ على حقوقهم وصيانة شخصيتهم الإسلامية من الذوبان والاندماج في معتقدات الأغلبية الهندوكية.. لم يعد لديهم إلا هذه المدارس والمؤسسات التي نشروا شبكتها في طول البلاد وعرضها.

ولهذا أكثروا من إنشاء المدارس، حتى بلغت عشرات الآلاف فيما بين الصغيرة والكبيرة، ولا تزال هذه السلسلة المباركة لإنشاء المدارس والمؤسسات قائمة، والمعنيون بالقضايا الإسلامية من أفاضل علماء الهند دائمو الدراسة لأوضاع المسلمين الدينية والاجتماعية في كل منطقة في الهند،

ودائبو التفكير في إنشاء أمثال هذه القلاع في كل مكان يحتاج إليها، وتوسع نطاق القديمة منها وتجديدها وتطويرها. ولذلك فإن تقديم العون لهذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية في الهند يعني إسعاف المسلمين بشأن الحفاظ على الدين والعقيدة والكيان الإسلامي في هذه البلاد، ولا يعني مجرد تقديم العون للتزود بالمعلومات الثقافية والدينية وحدها.

قصة المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية


جامعة عليگره الإسلامية

إذا كان هناك شعب أثبت تماسكه المطلوب في الصراع الحضاري والثقافي والعقيدي، معتمداً كل الاعتماد على عون الله، ثم ساعِده، وأكد نجاحه إلى حد كبير في صنع مستقبله بيده، وكتابة حظه بمداد من جهده العقلي ووعيه العقيدي المتيقظ، وذكائه الفكري والديني، رغم اتصال المؤامرات وتسلسل المحاولات منذ مدة متطاولة بقصد تفريغه من أصالته الحضارية والثقافية والعقيدية.. فإنه شعب عظيم حقاً، سيتكسر بإذن الله على صخر عظمته وصموده كل نوع من محاولات تذويبه واحتوائه.. لأن عظمة الشعب لا تقاس بكثرة أفراده وغنائه المادي، وتطوره في الشكل والمظهر، وارتفاع مستواه الاقتصادي والمعيشي وإجادته لفن المحاكاة والتقليد، وإكثاره من استيراد الخبرات والمناهج والأفكار.. وإنما تقاس عظمته بمدى قدرته على تجاوز المحن والأزمات، والنجاح في إحباط المؤامرات التي تحاك ضد ما يعتز به من عقيدة ودين وهدف، وضد قيَمه ومُثُله الحضارية العريقة التي تميزه عن غيره من الشعوب.. وإنما تقاس عظمته بقدر ما يتمتع به من غيرة على مقوماته، وبقدر أصالة الفكر والتراث.

ذلكم هو شأن الشعب الإسلامي الهندي الأبيّ المعتز بدينه وبكل ما يمت إليه بصلة ما، والذي أبى أن ينهار أمام الاستعمار القوي الماكر، ومحاولاته لتذويبه وصهره في بوتقة المسيحية المشوهة والصليبية الحاقدة.. ولا يزال يخوض أعنف صراع حضاري وعقيدي تدور رحاه على طول الأرض التي يسكنها، والتي أفرغ في تطويرها الحضاري أصلح ما عنده من كفاءة وذكاء وجهد طوال القرون المتطاولة.



نحن نعرف أن هناك شعوباً إسلامية في كثير من بلاد الله ذات الحضارة العريقة والعقيدة الراسخة، ومع ذلك استطاع الاستعمار أن يفرض عليها الاستسلام كلياً أو جزئياً، ولم توفق من سوء الحظ رغم العقول المفكرة ورغم القيادة الجريئة أن تصمد في وجه الاستعمار الذي مُنيت به صموداً مطلوباً، ولم تقدر على إحباط محاولاته الماكرة فكرياً وعقدياً.

ولكن الشعب الإسلامي الذي يقطن هذه القارة الشرقية، قد استطاع بحول الله وقوته، وبذكائه الديني غير العادي، وبما يمتاز به من صدق الولاء والانتماء إلى النبي العربي الهاشمي القرشي سيدنا محمد ﷺ ورسالته ودعوته الخالدة الباقية، وبروح التضحية والتفاني في سبيل الدين الذي يعتز به، تلك الروح التي خلقتها فيه التربية الدينية والإيمانية الصحيحة، التي أخذه بها العلماء الربانيون، والدعاة الصادقون، الذين عصروا قواهم الفكرية والدعوية في القيام بخدمة الدعوة والقرآن.. استطاع أن يحبط محاولات الاستعمار البريطاني فيما يتعلق بنزعه من حضن الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية والدعوة المحمدية.

وإن استطاع الاستعمار أن يلحق به بعض الخسائر سياسياً واقتصادياً، فإنه لم يستطع بحيلة أو بأخرى أن يُلحق به الأضرار حضارياً أو عقيدياً ودينياً، رغم نظام التعليم والتربية الغربي الذي فرضه على أبناء البلد وأبناء هذه القارة، ليعدّ منهم جيلاً هندياً في جنسيته ولونه ودمه وأوربياً في فكره وعقيدته ومنهج حياته، كما صرح بذلك أحد قادة الاستعمار وهو يفصح عن هدفه من نظام التعليم والتربية الذي كان مطبقاً في هذه الديار.

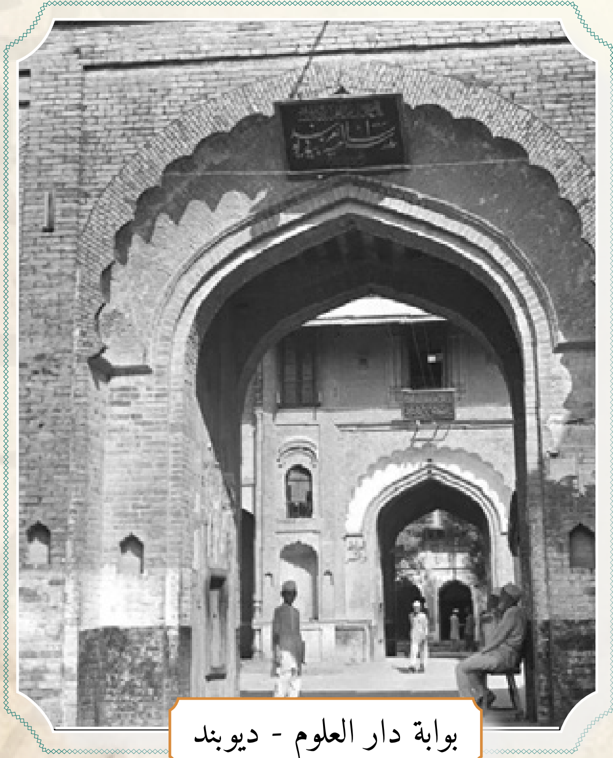


أتدري ماذا صنع هذا الشعب ليبقى صلب القناة تجاه الاستعمار الغاشم ومؤامراته الاحتوائية والتذويبية؟ محافظاً على دينه وعقيدته وحضارته؟ مبقياً على الكيان الإسلامي بمزاياه وخصائصه؟

لقد رأى أن الاستعمار قد قضى تماماً على الدولة المغولية الإسلامية -التي كانت على علاتها ترساً للإسلام والمسلمين في الشرق الإسلامي- وأنه أحكم قبضته على هذه البلاد، وأنه يحاول بكل ثقله السياسي والاقتصادي والثقافي والتعليمي أن يطمس معالم الإسلام في هذه الأرض، وأن يجعلها أثراً بعد عين، ويخلق أندلساً آخر في الشرق، ويحل حضارته وثقافته محل الحضارة والثقافة الإسلامية، ورأى أن الإسلام وحده هو الهدف الأكبر الحقيقي، وأن المواجهة والمجابهة ليست إلا بين المسيحية والإسلام -رغم عدد من الديانات العريقة في هذه الديار ذات الوثنية الذاهبة في أعماق التاريخ- إلا أنه وحده الذي لا يعرف المسالمة والمهادنة والمساومة مع غيره من الديانات ويجري مع الرياح حيث هبت، أما غيره من الديانات فهي تقبل الميوعة والاندماج والذوبان في يسر، وترضى بالمساومة على «المنافع والأرباح» و«الخسائر» في سهولة..

ورأى أنه لا سبيل إلى مجابهته في القريب العاجل في الميدان بقوة الساعد والسنان، فمال إلى إنشاء قلاع دينية في صورة المدارس والجامعات الإسلامية والمجامع والمؤسسات الثقافية، يربي داخلها النشء الإسلامي على التربية الإسلامية، ويثقفها بالثقافة الإسلامية، ويغذي المجتمع الإسلامي بالدم الإسلامي الصحيح الصافي، ويعد جيلاً هندياً في جنسه ودمه ولونه، حجازياً ومحمدياً في دينه وعقيدته وتفكيره ومنهج حياته، ويقاوم كل المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين، ويعمل على محاربة الاستعمار وإزالة ضبابه الكثيف الخبيث عن جو هذه الأرض وسمائها، وقد كان هذا الشعب الإسلامي الوفي المخلص موفقاً في ذلك، وقد تم له كل ما أراد، وجاء يوم جلا فيه الاستعمار بعد مدة طويلة زرع خلالها نباتات خبيثة من الحضارة والثقافة، وأمراض الإحن والحقد والبغضاء بين أبناء هذه القارة المنتمين إلى ديانات شتى وجنسيات مختلفة، ولا يزالون يعانون من حصادها المر ويلات لا أول لها ولا آخر.

تلك هي الحلقات الأولى من قصة هذه المدارس والجامعات الإسلامية المنبثة في طول شبه القارة الهندية وعرضها، والتي أدت دور الحارس الأمين والمرابط النشيط اليقظ في صيانة الكيان الإسلامي والحفاظ على شعائر الإسلام في هذه الديار، ومنعت الهند من أن تتحول أندلساً أخرى، وقفت دون إرادة الصليبية التي حاولت أن تنتقم من الإسلام في هذه الديار، لقاء الذل الذي أذاقه إياها صلاح الدين الأيوبي أحد أبناء الإسلام البررة في فلسطين.



بوابة دار العلوم - ديوبند

وللقصة حلقات لاحقة تحتاج إلى صفحات واسعة، وقلم سيال سريع السير، وقارئ صبور لا يعرف الملل، وإيجازها في كلمات أن هذه المدارس والجامعات الإسلامية، أدت دور الجندي الوفي في المرابطة على الثغر الإسلامي في هذه الظروف العصبية التي أعقبت الاستقلال.

وجلا الاستعمار بمساعي التحرير التي قام بها أبناء البلاد، وكانت لأبناء الإسلام الأولوية والقدح المعلى فيها، وقامت في الهند دولة علمانية لا تنحاز لدين دون دين، وإنما تركت الحبل فيما يتعلق بالدين والعقيدة على الغارب.. ولكن أدواء الإحن والبغضاء والعداء، التي رمى بها الاستعمار أبناء هذه البلاد، أعطت ثمارها البغيضة، وبدأت سلسلة الصراع بين أبناء الإسلام وبين غيرهم من أبناء البلاد الذين كانوا الأكثرية، وهم الإخوان الهندوس، ويبرد الصراع في مكان ليسخن في آخر، ولكنه قائم على قدم وساق.

إنه هو الآخر صراع حضاري وثقافي دقيق وعميق وشامل، يستهدف عقيدة المسلمين وثقافتهم وشريعة ربهم وأحكام كتابه وسنة نبيه. وقد تكون الحكومة معذورة بحكم موقفها العلماني، وقد تكون متفرجة أو واقفة موقف اللف والدوران بحكم أغلبية الإخوان الهندوس في البلاد، وفي السلطة على السواء.. ولكن مسئولية المسلمين ومسئولية غيرهم من المواطنين أيضاً تبقى قائمة نحو الحفاظ على العقيدة التي ينتمون إليها، والدين الذي يتبعونه.

هنالك برز دور هذه المدارس والجامعات وعلى رأسها الجامعة الأم: الجامعة الإسلامية دار العلوم - ديوبند (الهند)؛ لأنه لم يعد هناك سبيل إلى الحفاظ على العقيدة وتوعية المجتمع الإسلامي بأحكام الكتاب والسنة وإنارة الطريق أمام المسلمين ليعيشوا مسلمين ويموتوا مسلمين، ويربوا أولادهم وأفلاذ أكبادهم على تعاليم الإسلام، لم يعد من سبيل إلا سبيل هذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية، التي تسير بتبرعاتهم وحدها في أغلب الأحايين.

وإن كل ما ترى اليوم في شبه القارة الهندية من المد الإسلامي المتزايد، وكون الشعب الإسلامي مرهف الشعور وحار العاطفة، وشديد الحب لله ولرسوله، وكثير الحنين إلى مطلع فجر الإسلام ومهد الإيمان، ومن كون الثقافة الإسلامية تؤدي دورها المرتقب رغم المناخ غير الملائم، وكون أبناء الإسلام يعيشون بمزاياهم الحضارية والثقافية والدعوية.. إنما يرجع الفضل في كل ذلك إلى هذه المدارس والجامعات والمؤسسات والمعاهد الثقافية المنبثقة منها، والحركات والدعوات المتفجرة من ينبوعها.



ولقد سبق أن قلت: إن المدارس والجامعات الإسلامية إذا كانت تعني في غير الهند مجرد مراكز للتثقيف والتعليم والتربية، فإنها في الهند تحمل معنى أدق وأشمل من ذلك إنها قلاع الإسلام ههنا، إنها تصنع الرجال، وتربي الأبطال، وتخرج الدعاة وتصوغ العلماء والباحثين، وتمد المجتمع الإسلامي الهندي بكل ما يحتاج إليه من غذاء روحي ودواء إيماني ووعي إسلامي، وتسعفه بكل توجيه وإرشاد يحتاجه فيما يتصل بدينه ودنياه، وتغذيه بالعقول المفكرة والرؤوس المدبرة والقيادة الصالحة، وتوقد مجامر القلوب إذا خمدت، وتشعل العواطف إذا فترت، وتوقظ المواهب إذا جمدت، فلتبقَ هذه القلاع حصينة متينة، لتزدهر هذه الدوحات ولتتفرع، ولتنمو هذه الأشجار وتورق وتزهر وتثمر أكثر من ذي قبل.



د. محي الدين الألوائي
رحمه الله*

الأثر العميق للحضارة الإسلامية

في شبه القارة الهندية

إن للبحث عن الإسلام والمسلمين في الهند جانبين مستقلين يختلف كل منهما عن الآخر، فبينما يتناول الجانب الأول دخول الإسلام فيها كدعوة وفكرة، والجهود التي بذلها الدعاة المسلمون في سبيل نشرها في أوساط الأمة الهندية بطريق الموعظة والإرشاد والقدوة الحسنة، يتناول الجانب الآخر الفتوحات العسكرية التي قام بها بعض الملوك والحكام المسلمين وحكمهم فيها. وأما الجانب الإسلامي كدعوة خالصة وفكرة محضة فهو أعمق أثراً في تاريخ الإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية وأوسع نطاقاً من حيث البحث العلمي.

* محي الدين الألوائي، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، ط١، دار القلم/دمشق، ١٤٠٦هـ، ص٢٩٧-٣٠٥.

ولمعرفة مدى انتشار الدعوة الإسلامية في شبه القارة، بالمقارنة إلى الدعوات الأخرى التي وردت إليها من الخارج أو نشأت في تربتها، يجب علينا أن نذكر النقاط التالية:

●● الأولى: إن صوت الإسلام دخل إلى شبه القارة الهندية عقب ظهوره في جزيرة العرب بأيدي دعاة من المسلمين العرب والهنود، الذين تشبعوا بروح الإسلام السمح، وبذلوا جهوداً فردية في سبيل نشر دين الله المتين في كل بقعة نزلوا فيها، وبدأت هذه الجهود في سواحل الهند الغربية الجنوبية قبل الفتح الإسلامي الأول الذي قام به محمد بن القاسم الثقفي في شمال شبه القارة الهندية. وكان العرب هم طليعة هؤلاء الدعاة الذين أناروا الطريق لنشر الدعوة الإسلامية في أرض الهند، حيث وجدت أرضاً خصبةً لتنمو وتترعرع، فتفتحت زهورها في أرجائها وأثمرت ثمارها اليانعة في جو من الحرية والسلام، وكان رائدهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥].

●● الثانية: أن أول فتح إسلامي قد استتب في مناطق السند الواقعة على شاطئ الهند الشمالي الغربي بيد محمد بن القاسم الثقفي في عهد الدولة الأموية - كما سنذكره بالتفصيل[١] في نحو عام ٩١ من الهجرة، وقامت بذلك أول دولة عربية إسلامية في شبه القارة الهندية. ومما لا شك فيه أن لهذا الفتح أثراً في انتشار دعوة الإسلام في أعماق البلاد الهندية لأن وجود دولة عربية في أرض السند



١ في باب (دول المسلمين في شبه القارة الهندية) [من الكتاب].

كان بمثابة حافز جديد للدعاة المسلمين من العرب والهنود، ولكن هذه الدولة كانت منحصرة في مناطق السند، وتوقفت الفتوحات فيها تماماً بعد أن تغير خليفة الدولة الأموية وقُتل محمد بن القاسم، ثم تقلص نفوذ الدولة العباسية على هذا الجزء من الدولة العربية بضَعف دولة الخلافة واستقلال بعض أمرائها بالحكم.

●● الثالثة: وظلت الهند بعيدة عن أي غزو أو فتح عسكري من الخارج، إلى أن وجّه محمود الغزنوي أولى حملاته إلى شبه القارة الهندية عبر حدودها الشمالية الغربية، وذلك في سنة ٣٩٢ هجرية- ١٠٠١ ميلادية، وتابع حملاته وانتصاراته في أرض الهند حتى أقام فيها دولة غزنويةً تضم جزءاً كبيراً من غربي شبه القارة الهندية وشمالها وجنوب غربيها. وتعتبر هذه الدولة الغزنوية أولى دول المسلمين غير العرب في الهند. ثم تتابعت على حكم الهند دول للمسلمين العجم[٢] واحدة بعد أخرى؛ من الغوريين والمماليك، ثم التيموريين أو المغول، فكان عهد الدولة المغولية التي دامت من ٩٣٢ هجرية- ١٥٢٦ ميلادية إلى ١٢٧٣ هجرية- ١٨٥٢ ميلادية أزهى عصور حكم المسلمين في شبه القارة الهندية، وبلغت قوتها واتساعها جميع أنحاء البلاد، وشهدت في عهدها حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية التي عرفها التاريخ.


محمود الغزنوي

وكانت الهند في عهد حكم المسلمين تصنع التاريخ في الابتكارات والفنون والعلوم، حتى صارت يُضرب بها المثل في مجد حضارة الأمة الإسلامية وقوتها، كما قال الشاعر :

---

٢ انظر لتفاصيل هذه الدول الباب الرابع قسم (٣).

لا تَسَلْ أين ابتكار المسلمين •• فَسَلِ الحمراء[٣] واشهَدْ حُسن تاج[٤]

دولة سار ملوك العالمين •• نحوها طوعاً يؤدون الخراج


جهانكير

وقد بلغ مدى مجد المسلمين وحكامهم في شبه القارة الهندية إلى الحد الذي ظل فيه مندوب ملك إنجلترا جيمس الأول أكثر من سنتين في الهند، يحاول مقابلة الإمبراطور المسلم «جهانكير»، فلم يظفر بما يريد، فتضرع أن يأخذ كتاباً منه يحمله إلى إنجلترا، فردّ عليه الوزير الأول قائلاً: «إنه مما لا يناسب قدر ملك مثلي مسلم أن يكتب كتاباً إلى سيد جزيرة صغيرة، يسكنها صيادون بائسون»[٥].

وكان هذا في أوائل القرن السابع عشر بعدما تأسست الشركة الإنجليزية لتباشر تجارتها في الهند والبلاد الشرقية. وقد بلَغَ حُكم المسلمين للهند أوجه بعد ذلك في عهد الإمبراطور «أورانجازيب» الذي وحّد الهند كلها تقريباً تحت حكمه. وهكذا أصبح شبه القارة الهندية كلها خاضعاً للحكام المسلمين، وحكموها حكماً متواصلاً ثمانية قرون ونصف القرن وتركوا فيها خلال تلك القرون الطويلة من الآثار والمعالم الخالدة الرائعة للحضارة الإسلامية ما لا تزال الهند تعتز به كأعظم أثر تاريخي إنساني يفتخر به أي بلد في العالم.

---

٣ القلعة الحمراء التاريخية بـ«دلهي» التي بناها الإمبراطور المسلم المغولي شاه جهان في سنة ١٦٣٧م.

٤ تاج محل -أحد عجائب العالم السبع- في مدينة «آجرا» بالهند، وقد بناه الإمبراطور المذكور في أواخر القرن السابع عشر.

٥ نقلاً من كتاب: كفاح المسلمين في تحرير الهند، للشيخ عبد المنعم النمر، ص٢٠ (طُبع القاهرة عام ١٣٨٤ - ١٩٦٤).



●● الرابعة: بقي الأمر على ذلك إلى أن استولى الإنجليز على الهند بعد أن دخلوها كتجار حصلوا على امتيازات تجارية من حكام البلاد المسلمين، على أساس كرم الضيافة ورحابة الصدر، ولكنهم أضمروا الشر نحو البلد الذي رحب بهم والشعب الذي أكرمهم، فحاولوا السيطرة على هذا البلد، وبدأوا يبثون سياستهم التقليدية «فرّق تسُد» بين حكام البلاد بعضهم بعضاً، وبين مختلف طوائف أمتها الكبيرة، فاستطاعوا بمكرهم وحيلهم، وبسبب التفتت الذي سرى في صفوف الحكام والوهن الذي تسرب إلى قلوب الوطنيين، الاستيلاء على البلاد كلها، ففقد المسلمون حكمهم فيها وتعرضوا لاضطهاد هؤلاء الإنجليز، المستعمرين سياسياً واقتصادياً وثقافياً، وتعرضت الدعوة الإسلامية أيضاً لمحاولتهم القضاء عليها، كما قضوا فعلاً على حكم المسلمين. وأصبحت الهند كلها خاضعة للحكم البريطاني. واستمرت هذه الحالة إلى منتصف القرن العشرين حيث استعادت حريتها كاملة غير منقوصة عام ١٩٤٧ ميلادي، وقامت فيها دولتان مستقلتان، الهند وباكستان.

والذي يُفهم من هذا البيان أن تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند قد مرّ عليه حتى الآن أربعة عشر قرناً من الزمن، بينما مر ثلاثة عشر قرناً على قيام أول دولة عربية في السند، وظلت الهند كلها تحت حكم المسلمين أكثر من ثمانية قرون ونصف القرن، أي من قيام الدولة الغزنوية في سنة ٣٩٢هـ - ١٠٠١م إلى سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م. ثم استمر حكم الإنجليز التام الشامل على شبه القارة الهندية لمدة قرن من الزمان.

 وطوال هذه الفترات الممتدة من تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند لم تقُم هيئة أو منظمة تستهدف نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها حسب خطة مرسومة ومنهج مدروس، بل وتعرضت الدعوة ودعاتها لاضطهادات جمة من جانب الحكام الإنجليز. ومما هو جدير بالذكر، مع الأسف الشديد، أن بعض الحكام المسلمين المستبدين أيضاً وضعوا العراقيل أمام الدعاة المصلحين، كما سنشير إليه فيما بعد.

ومن بواعث الدهشة والإعجاب للعقول العادية -إن صح هذا التعبير- فإن الدعوة الإسلامية قد فاقت في انتشارها في أوساط الشعب الهندي -برغم هذا كله- جميع الدعوات الأخرى، وتركت ملامح واضحة عديدة تشير إلى هذا المدى الواسع الذي حققته في شبه القارة الهندية كلها.

 وكانت شبه القارة الهندية وقت استقلالها من حكم الإنجليز سنة ١٩٤٧ ميلادية أولى دول العالم في عدد المسلمين، حيث كانت تضم أكثر من مائة وعشرين مليون مسلم. ثم قام تقسيم شبه القارة إلى دولتين -الهند وباكستان- فصارت الهند دولةً مستقلةً ذات أغلبية هندوسية وأقلية مسلمة، وباكستان دولة مستقلة ذات أغلبية مسلمة وأقلية هندوسية، وقد بلغ عدد المسلمين في باكستان -وقت التقسيم- نحو ثمانين مليوناً وعدد المسلمين في الهند نحو أربعين مليوناً[٦].



---

٦ انظر ملحوظة ص١٠ [من الكتاب].

واليوم تعتبر الهند وحدها ثانية دول العالم في عدد المسلمين حيث تضم أكبر جالية إسلامية، بعد أندونيسيا. وهم يشكلون أكبر طائفة في الهند بعد طائفة الهندوكية، ومن ثم لا تزال الهند جزءاً حياً هاماً من جسم العالم الإسلامي الكبير الواسع الذي يربط بين أجزائه رباط وثيق من الرابطة الروحية والأخوّة الإسلامية.



فإذا ألقينا نظرة على شبه القارة الهندية الباكستانية فلا نجد فيها، مع اتساع رقعتها وتعدد مقاطعاتها ومناخها، بقعة إلا ودخلها صوت الإسلام ووطئتها أقدام الدعاة وظلت الدعوة الإسلامية متمكنة في هذا البلد المترامي الأطراف، على رغم تقلبات الزمن وتطورات العصر، ولم تستطع التيارات الخارجية أو الداخلية أن تحدّ من تقدمها وتطورها، كما لم تفلح المحاولات العديدة التي بذلها مناهضو الدعوة الإسلامية لمنع استمرارها واستقرارها.

مدى انتشار الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية

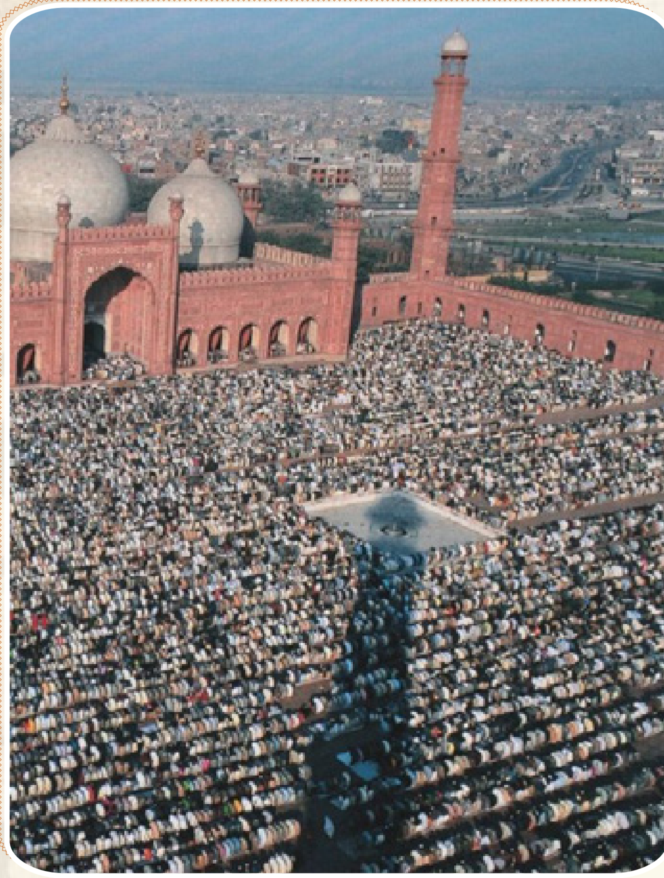
ويمكن لنا أن نلخص الملامح الجوهرية لمدى انتشار الدعوة الإسلامية في شبه القارة في النواحي الآتية:

١ سرعة وصول صوت الإسلام إلى جميع المناطق الساحلية من أرض الهند عقب انبثاقه في جزيرة العرب، والترحيب الحار الذي لقيه الدعاة المسلمون من حكام الهند وشعبها، مما ساعد على إنشاء المساجد، ومراكز الثقافة الإسلامية، بل وساعد على قيام أول أسرة مالكة مسلمة في «مليبار»، هذا قبل عهد فتوحات المسلمين وقيام دولهم في الهند، كما أشرنا إليه من قبل[٧].

---

٧ عند ذكر أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في شبه القارة الهندية.

٢ ازدياد عدد المسلمين بطريقة ملحوظة حتى أصبحت شبه القارة الهندية أولى دول العالم في عدد المسلمين.



٣ انتشار مراكز الثقافة الإسلامية والعربية في أرجائها، ولا تزال هذه المراكز تتدفق حماساً ونشاطاً للمحافظة على مكانة مسلمي الهند في نشر الدعوة الإسلامية وتطويرها، والتي ورثوها منذ أن استنارت الهند بنورها عقب انبثاق فجرها، وتحمسوا لخدمتها بعيدين عن مآرب الحكم السياسي أو الفتح العسكري أو جاه أو مال.

٤ انتشار اللغة العربية وأثرها في اللغات الهندية وآدابها، وكذلك التراث العلمي والإسلامي الخالد لعلماء الهند المسلمين. ويبدو أثر هذا الانتشار في حركة التأليف والنشر باللغة العربية التي قام بها هؤلاء العلماء في فترات التاريخ وفي شتى فروع العلوم الإسلامية والعربية، وكان شعار المسلمين في الهند منذ العهد الأول: الاعتناء باللغة العربية والتمسك بها؛ لكونها لغة القرآن الكريم وعلوم الدين الحنيف، وفضلاً عن أنها كانت من العوامل الرئيسية التي ساعدت على توثيق عرَى التعارف والتفاهم بين الأمتين العظيمتين؛ الهندية والعربية.

وجدير بالذكر أن كثيراً من مؤلفات العلماء الهنود قد تخطت شهرتها حدود الهند، واحتفى بها علماء العرب والعجم واعترفوا لها بالدقة والإتقان وغزارة المادة والنفع العام. ونرى علماء الهند في بعض فترات

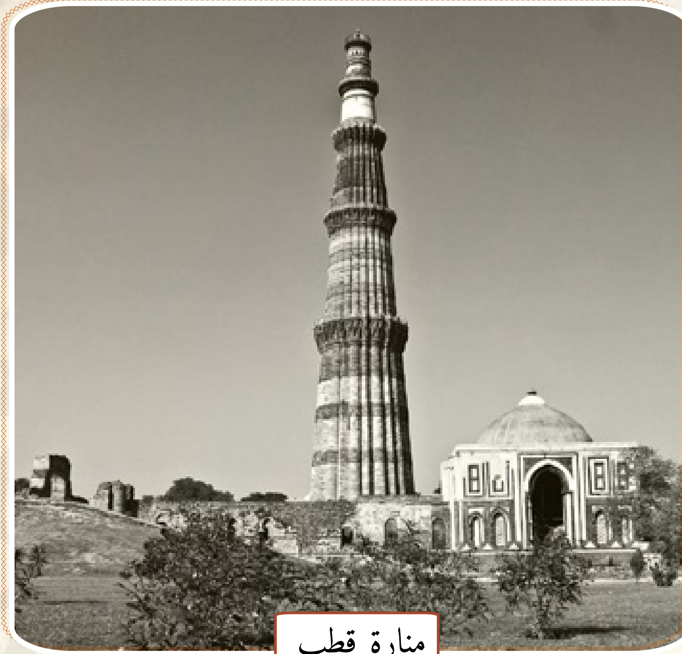
التاريخ في مقدمة المؤلفين في العلوم الدينية، وانتهت إليهم رئاسة التدريس والتأليف في فنون الحديث وشروحه، وكذلك في السيرة النبوية وحكم التشريع الإسلامي[٨].

٥ انتشار معالم الحضارة الإسلامية في جميع أرجاء الهند المتمثلة في الآلاف المؤلفة من المساجد والقلاع الفخمة التي بناها المسلمون، والتي تنطق بروعة الفنون العربية والإسلامية و براعتها، ومنها أيضاً آلاف المقابر للمسلمين، وأضرحة أولياء الله الصالحين المنتشرة في جميع أراضيها.



٦ أثر الفن العربي الإسلامي؛ فمن أبرز الملامح لنفوذ المسلمين في الهند الأثر الذي تركوه في ميادين الفنون المختلفة، وأما الفن المعماري فهو من أعظم مميزات عهود الحكام المسلمين فيها. ونرى الآن في شتى أنحائها قلاعاً شامخة، ومساجد فخمة، وأبنية ضخمةً، من القصور والأضرحة والمنائر التي تمثل النبوغ الفني العربي الإسلامي. ومن أعظم الآثار التاريخية والمعالم الفنية التي تشرف عليها مصلحة الآثار بحكومة الهند، والتي تجذب أنظار الزوار والسواح من أنحاء العالم هي تلك الآثار الإسلامية ونشير هنا إلى نماذج منها:

٨ وسوف نرى بعض التفاصيل عن مساهمة العلماء الهنود في نهضة العلوم الإسلامية والعربية في القسم الرابع من الرسالة إن شاء الله تعالى.


منارة قطب

منارة قطب[٩]، بمدينة دلهي عاصمة الجمهورية الهندية، وتعتبر هذه المنارة من أعلى أبراج العالم، فارتفاعها يبلغ ٢٣٨ قدماً، ومحورها من الأسفل ٤٧ قدماً، ومن أعلى ٩ أقدام فقط، وهي مصنوعة من الحجر الأحمر والرخام، والمنارة كانت مكونة من سبع طبقات، ولكن الموجود الآن خمس فقط.

وأول من أمر ببنائها السلطان «قطب الدين أيبك» في مستهل القرن الثالث عشر، بعد إتمام بناء مسجده «قوة الإسلام» في عام ١١٩١ ميلادي، وذلك تخليداً لذكرى انتصاره على شمال الهند الغربي، ثم أُكمِلت في عهد السلطان «ألتمش» نحو عام ١٢٢٠ ميلادي. ونُقِش حول كل طابق من المنارة آيات من القرآن الكريم، وبعض مكاتيب السلطان.

وبجوار هذه المنارة توجد الآن بقايا ذلك المسجد الأثري، وكُتب على واجهة هذا المسجد باللغة العربية بحروف بارزة من الحجر: «بسم الله الرحمن الرحيم والله يدعو إلى دار السلام...» ثم كُتب تحتها تاريخ الإنشاء وغيره، وبجانب المسجد تظهر بقايا مبنى مدرسة «قوة الإسلام» الكبيرة الضخمة. ويقول الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق[١٠] أستاذ الآثار الإسلامية: «إن قطب الدين أسس مسجد «قوة الإسلام» تخليداً لذكرى استيلائه على دلهي، وهو من أعظم المساجد في العالم، ثم المنار الذي يحمل اسم «منار قطب»، ويعد أنخم بناء من نوعه...».

---

٩ وهي المعروفة في الهند باسم «قطب مينار» حسب التركيب اللغوي الهندي.

١٠ في كتابه: بين الآثار الإسلامية ص ٥٢ (طبع الإسكندرية ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م).

ومنها «القلعة الحمراء»[١١]، فهي البناء الفخم الذي بناه الإمبراطور المسلم المغولي شاهجهان[١٢] في سنة ١٦٣٧ ميلادية، لسكناه في مدينة دلهي بعد أن استقر فيها حكمه ومقامه، ويعدّ من أجمل مباني العالم[١٣]. وهي تقع على شاطىء نهر «جمنا» في جهة الشمال الشرقي لمدينة دلهي، وقد أقامت فيها الحكومة الهندية متحفاً تاريخياً يضم آثار الملوك المغول في الهند، وفي فناء هذه القلعة تقيم الحكومة الآن حفلاتها الرسمية في المناسبات الوطنية، وحفلات الاستقبال لكبار الزوار من أنحاء العالم. وفي داخل هذه القلعة مسجد من الرخام الأبيض الخالص ويسمى مسجد «اللؤلؤة»[١٤]. وتعتبر القلعة الحمراء ومسجدها «اللؤلؤة» من النماذج الحية لآثار الفن الإسلامي العربي، كما أنها نموذج صادق لمجد المسلمين في الهند.

ومنها أيضاً «المسجد الجامع» الذي بناه السلطان شاهجهان أمام قلعته المذكورة في سنة ١٠٦٠ هجرية ١٦٦٠ ميلادية، ويقوم هذا المسجد على مرتفع من الأرض عما حوله، وأرضه من المرمر وجدرانه مكسوة بالمرمر كذلك إلى ثلاثة أذرع، وأما منبره فكله من المرمر الأبيض الناصع، ويتجلى على جدرانه وأعمدته الضخمة الفن الإسلامي الرفيع. وإن هذا المسجد الذي يغص بالمصلين كل وقت يعتبر من أفخم الآثار الإسلامية، ويزوره ويصلي فيه كل من يزور الهند من ملوك ورؤساء الدول الإسلامية وكبار المسلمين، وعنيت الحكومة الهندية به، واعتمدت مبالغ كبيرة لرعايته وصيانته، ومن الناحية الشرقية بينه وبين القلعة الحمراء فضاء كبير يمتد مئات الأمتار، وتقام فيها الاحتفالات الشعبية والاستعراضات الرسمية بمناسبة عيد استقلال الهند وغيره.

---

١١ المعروفة باللغة الهندية باسم «لال قلعة» أي القلعة الحمراء.

١٢ واسمه الحقيقي «خرم» أي مسرور وأما شاهجهان أي «ملك الدنيا» فهو لقب أعطاه له أبوه بعد انتصاراته في بعض الحروب الساخنة.

١٣ انظر كتاب حضارات الهند، لغوستاف لوبون، ص٢٢٤، من الترجمة العربية للأستاذ عادل زعيتر. (طبع مصر سنة ١٩٤٨م).

١٤ ويسمونه بالهندية «موتي مسجد»، أي مسجد اللؤلؤة.


تاج محل

وأما «تاج محل» في مدينة (آجرا) بشمالي الهند، فهو نموذج حي للفن الإسلامي الرائع الذي ينطق بالأثر العظيم الذي تركه حكم المسلمين في الهند، وهو ذلك البناء الذي أعده شاهجان ضريحاً لزوجته الوفية «ممتاز محل» المتوفاة سنة ١٠٤٠ هجرية ١٦٣٠ ميلادية، وقد تم بناؤه في ٢٢ سنة، واشترك في بنائه عشرون ألف عامل وصانع، وهو مشيد من المرمر الأبيض الخالص، ومرصع بالأحجار الكريمة، ويقع البناء على شاطئ نهر «جمنا» الممتد من دلهي.

وقد كُتبت على جميع مداخل البناء وجدرانه وجوانبه آيات من القرآن الكريم بالرخام الأسود بالخط الثلث، وأما على واجهة المدخل الرئيسي للضريح وجانبيه فقد كُتبت سورة يس، وعلى الباب الصغير الذي ينفذ منه إلى الداخل سورة التكوير. وفي داخل القبو الكبير يوجد قبران على كل منهما تركيبة جميلة من المرمر الخالص من قطعة واحدة، وكُتب على قبر «ممتاز محل» قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ...﴾ [المطففين: ٢٢-٢٣].

وهذا وصف مختصر لبعض النماذج من التحفة الفنية العربية الإسلامية الرائعة في فن البناء التي لا يوجد لها نظير في العالم، والتي تنطق بمدى أثر الإسلام والمسلمين في الهند والتي ما تزال الهند والعالم تفتخر بها، وتشيد بمجدها وعظمتها.

﴿وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾



الصادعون بالحق

من تراث العلماء والدعاة الأسرى





د. سلمان العودة
فك الله أسره*

الحياة في سبيل الله

لا يستغرب أحدٌ أن يسمع كلمة: «الموت في سبيل الله»، أن يموت الإنسان صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر، وهي الشهادة التي لا تحدث إلا باصطفاء من الله لعباده: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. ولكن ليس بنفس القدر يسمع الناس كلمة: «الحياة في سبيل الله». من الخطأ أن يقع التعاند بين المفهومات الشرعية، وكأنها بين طرفي نقيض!

* سلمان العودة، مقال: الحياة في سبيل الله، موقع إلكتروني: الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ٢٠١٩م.

وصناعة الحياة معنى رائع عظيم، وهو الأصل، وصناعة الموت حينما تكون ذودًا عن الحق والإيمان والأوطان، هي تضحية تفخر بها الشعوب كلها، وتقدِّس فاعليها الذين تجرَّدوا من الأنانية، وتفانوا في مصلحة أمتهم أو وطنهم.

الحديث عن الموت سيطر في ثقافتنا وقصائدنا ومحفوظاتنا وأدبياتنا، أينا لا يحفظ قصيدة النابغة:

يا بنتَ عمي كتابُ الله أخرجني	••	كرها وهل أمنعنَّ اللهَ ما فعلا؟
فإن رجعتُ فربُّ الكون يرجعني	••	وإن لحقت بربي فابتغي بدلا
ما كنتُ أعرجَ أو أعمى فيعذرني	••	أو ضارعًا من ضنى لم يستطع حولا!



على أنني أجد في الأبيات معنى جميلًا حين يصرِّح بأن خروجه (كره)، وهكذا هو في القرآن: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

إذَن.. هو أمرٌ يلجأ إليه مضطر، حفاظًا على الذمم والأعراض، وعلى الحياة ذاتها، وعلى المشروع العظيم..

الشهادة ليست مقصودة لذاتها، بل هي لحفظ الحياة، تمامًا كما قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ورُبَّ موت فرد كان سببًا في هبة الحياة لأمة من الناس.

الأصل في معركة الحياة أنها للبناء والإصلاح والتشييد والصبر والمصابرة.. حين تجد شاعرًا فلسطينيًّا، مثل: عبد الرحمن بارود، أو هارون هاشم رشيد، أو محمود درويش، أو سميح القاسم أو.. أو.. أو تجد شاعرًا عربيًّا يتغنَّى ببطولة الفدائي، كما في شعراء مصر، من أمثال: علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، أو شاعرًا خليجيًا، كما في قصائد غازي القصيبي، أو عبد الرحمن العشماوي.. فلن تتلقى هذا البوح الرائع إلا بالإعجاب، لأنه يقدِّس الحق، ويتغنَّى بالمضحِّين في سبيله.

ولكن لن يكون معنى هذا أن مشاريع العروبة والإسلام انتهت وتوقفت عند هذا الحد، ولا أن التغني بمجد شهيد، يعني تجاهل تضحية العالم والمبدع والمجاهد في ميدان الحياة والإصلاح والنهضة والمعرفة والدعوة إلى الإيمان والحق والصبر.

الحياة غالية عزيزة، وقد مات رسولُ الله ﷺ على فراشه، بعدما عاش حياته كلها في سبيل الله، وكذا أبو بكر رضي الله عنه.

الاستقالة من وظيفة العيش على ظهر هذا الكوكب ممنوعة، وهي هزيمة لا يقبلها الله، ولذا حرَّم الجنة على مَن مات منتحرًا، يبادر ربه بنفسه، بسبب ضيق العيش أو مرارة الألم..

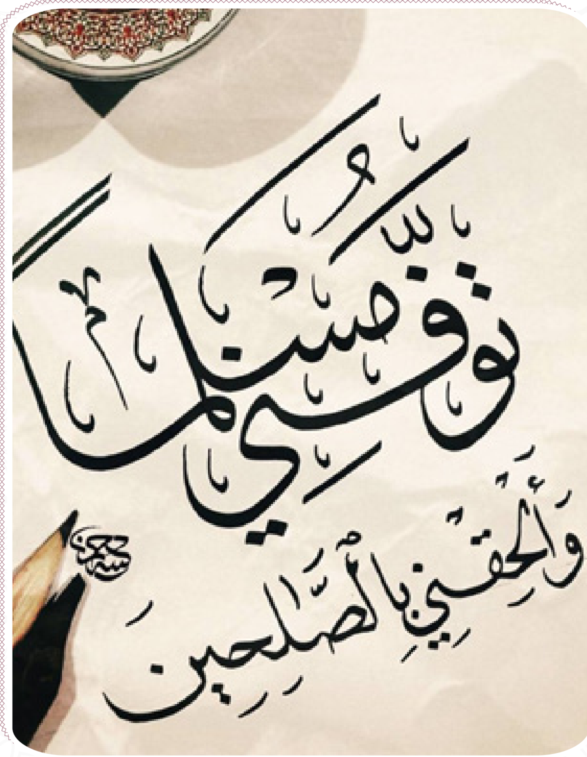
في وصيته ﷺ للمجاهدين وقادة الجيش كان يقول لهم: «لأَن يهدي اللهُ بك رجلًا واحدًا، خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم»[1].

ويقول: «لا تمنّوا لقاءَ العدوِّ، واسألوا اللهَ العافيةَ، فإذا لقيتموهم فاصبروا»[2].

---

١ أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.
٢ أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

الموت نهاية لا بد منها، وقد قال يوسف عليه السلام في آخر مشواره: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، لكن بعدما عمَّر الحياة، وضحَّى، وصبر، وصنع، وصار على خزائن الأرض، وحفظ، وعلَّم، وكان ذا نفس طويل في البناء والتأثير والقيادة السياسية والاجتماعية، وإدارة الأزمات بجدارة واقتدار، وبعدما أشاع قيم العدل والإنصاف والسلام، وإيصال البر والمعروف لأفراد شعبه ولغيرهم، وفعل ذلك كله بروح إيمانية عالية.



فالموت إذاً ليس نقيضًا للحياة، بل هو امتداد لها، ومَن عاش في سبيل الله، جدير أن يكون موته في سبيل الله أيضًا، وإن مات على فراشه، كما حدث لخالد بن الوليد رضي الله عنه.

الموت ليس عملية خلاص سريع من تكاليف الحياة وتبعاتها، والجهاد الكبير هو في ميدان الحياة بالدعوة والصبر وطول النفس ومقاساة الشدائد، حتى في داخل النفس، وتلقِّي التهم، ومواصلة الطريق إلى الله، مستهديًا بدعائه: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

حين يخاف الشاب من الإغراءات، أو يخشى من معاودة حياة الدّعة والخمول واللذة والإثم، فإنه يريد أن يختصر الطريق على نفسه، ولكن قد يغفل عن أنّ هذا ربما يطيل الطريق على أمته!



م. خالد حربي

فك الله أسره

لكنّ النجوم لا تموت

مرثية عاشق

النجوم ذلك النور العلوي وتلك القناديل المعلقة في سمائنا، وهذه المصابيح المنيرة في ليلنا، إنها دائماً رمز الهداية ومنارات السبيل في حياتنا، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧]. هكذا وصفها الله العلي في كتابه واستضاء أئمتنا بهذا الوصف الإلهي فشبهوا مَن حملوا مشعلاً في مسيرة هذه الأمة، وعلى رأسهم الصحابة والعلماء العاملون ثم الأمثل فالأمثل.

---

* خالد حربي، مقال: (لكن النجوم لا تموت.. مرثية عاشق)، موقع إلكتروني: طريق الإسلام،٢٠٠٨م.

وكلما أظلم الطريق وتعذّر السير على السائرين تلفت الناس إلى نجم يهديهم وقائد يعبر بهم. وكما يلمع بريق النجوم ويظهر كلما اشتدت الظلمة وادلهمت العتمة وفشت الحالكة على الرؤوس، هكذا أيضاً نجوم أمتنا العظام، يعظم قدرهم ويتوهج بريقهم وتشتد الحاجة إليهم كلما جثمت المحنة على صدرها واشتدت في الظلمة مسيرتها.



وهنا أذكر رؤيا عجيبة ما تذكرتها إلا وسرت القشعريرة في جسدي وأخذتني الخشية فانهمرت دموعي لا أملكها. أتذكرها وأهديها إلى الراحلين عن الحياة وهم أبهى ما بها إلى الذين رحلوا عنا وظلت أعمالهم رمزاً يُقتدى ونبراساً يُهتدى إلى من صمدوا في زمان الخذلان وقبضوا على الجمر في زمن الهوان إلى الذين أناروا لنا الطريق بأرواحهم وعطروا لنا المسير بدمائهم إلى النور الباهر في هذا الليل البهيم والنجم اللامع في تلك الظلمة العاتية، إلى شهدائنا الأبرار الذين قضوا في ساحات الوغى وقد بذلوا أرواحهم فداء أرواحنا ونفوسهم الغالية نظير نفوسنا، هذه البشرى إلى أرواح هؤلاء الأماجد ولا أراها تصدق إلا في حقهم وحدهم:

في يوم من أيام محنة كان الكرب قد اشتد علينا حتى لم يبقَ لنا متنفس، ثم أعلن البعض تراجعه وتخليه عن الطريق وارتمى يستجير من الرمضاء بالنار، فركبَنا الهم وعظم بنا الخطب ولفحتنا رياح الوحشة والغربة، وكنت أنا وأخ لي نتناوب صلاة الليل، وفي ليلة مباركة وبعد أن صلينا غلبنا النعاس قبيل الفجر بقليل، وإذا بأخي يوقظني وهو ينتفض وعيناه مغرورقة بالدموع ليقصّ عليّ ما رأى؛ فقال:

«رأيتني جالساً تحت قدم شيخ لا أعرفه، وكان الشيخ حسن الهيئة طيب السمت، وبجواره طاقة في الحائط يطل منها النبي ﷺ وإذا برجل كئيب الهيئة فظ الملمح يدخل علينا وقد اتشح بالسواد القاتم فسأله الشيخ: من أين الرجل؟ فقال: من مصر، فسأله النبي ﷺ: وما حال مصر وأهل مصر ونيل مصر؟ فتجهم الرجل وظل يلقي بكلمات قاسية يتحدث فيها عن الخراب والدمار والضياع وقال كلاماً كثيراً وآخر ما قاله: «وهناك نجوم ستموت»». تملكني الخوف والفزع واختنقت من كلمات هذا الرجل لكن النبي ﷺ أجابه سريعاً وهو يبتسم قائلاً: «لكن النجوم لا تموت، بل تتكاثر وتتوالد ويكثر عددها». ونزلت كلماته ﷺ على قلبي برداً وسلاماً وبشرى وطمأنينة، وإذا بالشيخ يردد كلمات النبي ﷺ نفسها وهو يبتسم: لكن النجوم لا تموت، بل تتكاثر وتتوالد ويكثر عددها».

راحت دموعي تنهمر من عيني وأنا أسمع هذه الرؤيا الصالحة، وعدت لا أسيطر على جسدي بأكمله وفقدت نصف وعيي وكأني لا زلت بين يدي النبي الكريم ﷺ. الذي نزلت كلماته في الرؤيا علينا برداً وسلاماً فشدت العزائم وأقامت الهمم وداوت الجراح، لقد أدركت على الفور أن بعض الساقطين الذين كنا نحسبهم نجوماً في سمائنا لكنهم في الحقيقة غير هذا، إنهم كالشهب والنيازك تلمع لحظة احتراقها لتسقط فتصيب وتقتل لكنها لا تضيء أو تهدي، أما النجوم الحقيقية فهي أبداً لا تموت.



وكنت كلما اشتدت بنا المحنة وخنق صوتنا البلاء أردد بيني وبين نفسي: «لكن النجوم لا تموت»، حتى أحسن الله إلينا فكشف البلاء وانجلت عنا المحنة وتسارعت الأحداث وعاث العدو بأرض المسلمين وحرماتهم، ورأى الناس ما كانوا يقرؤون عنه في كتب التاريخ من المذابح والمجازر واقعاً أمام أعينهم وبين أيديهم.

وهنا وفي هذا الليل البهيم والظلام الحالك ظهرت نجوم سمائنا الحقيقة وشاء الله أن يلمع ضياؤها فوق رؤوسنا، وذلك حين قام خير هذه الأرض قاطبة وأطهرهم يداً وأشجعهم قلباً وأنقاهم سريرة فذبوا عن الأمة، وذادوا عن الحرمة، وبذلوا الأرواح والمهَج رخيصةً لله تعالى، وكما رأينا ما كنا نسمع عنه من مذابح ومجازر رأينا أيضاً ما كنا نسمع ونقرأ عنه من الملاحم والبطولات، وعادت رياح الجهاد تنفض الرمال عن هذه الأمة وتنسمها رياح العزة من جديد، وعادت تهب علينا نسائم العظماء التي كانت قد انقطعت طويلاً عن أمتنا، عادت تهب نسائم نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، وسيف الدين قطز، والشيخ المجاهد ابن تيمية، وابن حزم، وألب أرسلان، ويوسف بن تاشفين، وطارق بن زياد، وغيرهم من عظماء المجاهدين والشهداء.



واصطفى الله تعالى من هؤلاء المجاهدين الراشدين شهداء في سبيله، وكما أن شجرة الإسلام طيبة وعظيمة وكريمة كذلك لم يدخر الله لها رياً إلا أطهر الدماء وأعظم الأرواح وأكرم النفوس؛ لتنبت الثمرة الطيبة النافعة النقية السوية ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ [الحديد: ١٩].

وكما كانوا كالنجوم في حياتهم مناراً للهدي ونبراساً للفداء صاروا بعد رحيلهم مثلاً يُحتذى ومنهجاً يُقتدى به ونوراً يضيء الدرب للسائرين..

مَن قال إن الشهداء سقطوا؟ مَن قال إنهم رحلوا؟! مَن قال إن حياتهم وأعمالهم انتهت؟!

إن الوجود الحقيقي يكون بوقعه في النفس لا بثقله على الأرض، ولا شك أن النبي ﷺ كان موجوداً وحياً وفاعلاً في نفوس التابعين الذين آمنوا به ولم يروه أضعاف أضعاف ما كان موجوداً في نفوس المشركين والمنافقين الذين عايشوه وخالطوه. وهكذا قد يرحل مجاهد عن عالمنا فلا نراه ولا نخالطه، لكنه قد يكون أكثر أثراً وفاعلية في النفوس مما كان وهو حياً بيننا.

إن ما يجسده رحيل هؤلاء العظماء أكبر بكثير مما كانت تمثله حياتهم:

وكانت في حياتك لي عظات •• فأنت اليوم أوعظ منك حياً

يقولون إن ضياء النجم يظل يلمع في مكانه لسنوات عديدة بينما يكون النجم حقيقة قد غادر منزله منذ سنين، وهذا أصدق الأوصاف على شهدائنا.. إن نورهم لا يزال يتلألأ فوق رؤوسنا حتى بعد رحيلهم، وإن حياة شهدائنا أطول من حياة قاتليهم.. ونظرة سريعة على تاريخ هذه الأمة تزرع اليقين بهذا.

ويقال إن النجوم تحول في آخر أطوارها إلى ثقوب سوداء تسبح في فضاء الكون، وتتميز هذه الثقوب بالجاذبية الشديدة والحركة السريعة مما يجعلها تلتقط وتبتلع كل الأجسام والشوائب العالقة بالفضاء، ويحلو للبعض أن يسمي هذا موتاً، ولكن هيهات أن يكون موتاً وهو يدفع النجم إلى أضعاف طاقته وقدرته..

وهكذا أيضاً شهداؤنا الأبرار، إذا رحلوا عن حياتنا وانتهت أعمارهم الأرضية صاروا قوة جذب إلى السماء ودفع إلى الجنان، تهدم أسوار الطغاة أمامنا وتقوّي قلوبنا على امتطاء الصعاب ومقارعة النوازل ومجابهة المخاطر، لاسيما وقد ضربوا لنا المثل العملي في الثبات وجسّدوا لنا التضحية الفعلية لأجل العقيدة.



لقد رحل عنا الشهداء لا ليغيبوا عن دنيا ولكن ليضيؤها من فوق رؤوسنا بأرواحهم الزكية ودمائهم العطرة، وكلما ارتفع شهيدٌ في ساحة الوغى اطمأنت القلوب إلى نجم جديد يغمرنا بضوئه الشفيف، وكلما غاب عن عالمنا عظيم بجسده وأنفاسه استبشرت القلوب بكلمات وفعالٍ تقوم وتنتفض لتتقدم الركب المجاهد نحو طريق النصر والعزة بإذن الله.

وهذا سيد قطب.. أحد أفراد ذاك الركب وذلك الرهط -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً- يقول: «إن كلماتنا ستبقى ميتةً لا حراك فيها، هامدةً، أعراساً من الشموع، فإذا متْنا من أجلها وغذيناها بدمائنا انتفضت حيةً وعاشت بين الأحياء، كل كلمة قد عاشت كانت قد اقتاتت قلب إنسان حي فعاشت بين الأحياء».

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].



د. خالد أبو شادي

فك الله أسره

الضربة الثلاثية!

لماذا تأخر هذا المقال؟

والجواب: حتى أوقد جمرة الغضب إن خمدت أو كادت تنطفئ، حتى إذا ما بردت المشاعر وزار النسيان القلوب جاء المدد بكلمات مشتعلة وحروف مضطرمة لتبقى شعلة العزم متقدة.. وعدة الثأر جاهزة.

والآن إلى المقال:

روت كتب السيرة أنه في غزوة الخندق حين تألب الأحزاب على المسلمين عرضت للنبي ﷺ

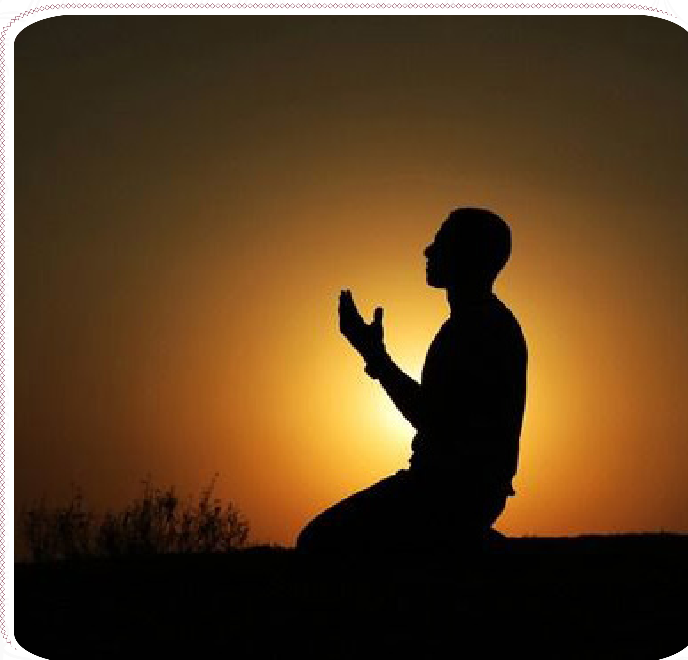
---

* خالد أبو شادي، مقال: الضربة الثلاثية، موقع إلكتروني: طريق الإسلام، ٢٠١٤م.

وأصحابه صخرة حالت بينهم وبين الحفْر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ المِعول ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: «تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم»، فندر (سقط) ثلث الحجَر، وبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم ضرب الثانية وقال: «تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم»، فندر الثلث الآخَر فبرقت برقة، ثم ضرب الثالثة وقال: «تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم»، فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس.

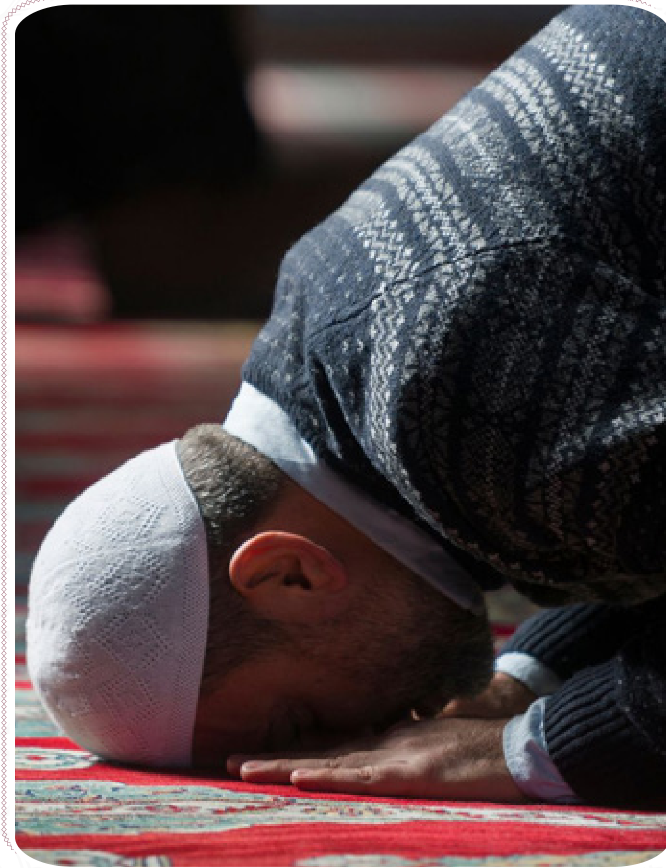
وقد أخبر النبي ﷺ سلمان الفارسي أنه رأى مع الضربة الأولى مدائن كسرى وما حولها، ومع الضربة الثانية مدائن قيصر وما حولها، ومع الثالثة مدائن الحبشة وما حولها، وبشر أصحابه بفتحها وغنمها. وأمامنا اليوم مثل هذه العقبة الكؤود، ولا بد لنا من تحطيمها لفك حصارين اثنين خانقين، حصار إخواننا في غزة عن أسباب حياتهم، وحصارنا نحن معهم عن أسباب نصرتهم! واقتداءً بنبينا وتبركاً بضرباته.. إليكم ضربات ثلاث لازمة لتحطيم صخرة اليوم وهي من جنس صخرة الأمس إن لم تكن أشد، فارفعوا معاولكم.. واحزموا أمركم.. وقولوا معي: بسم الله.. مع:

الضربة الأولى.. أصلح نفسك



حبيبي.. أنا لا أشكِّك في ألمك إثر كل محنة تصيبنا أو حياة قلبك.. لكن.. إن كان كذب اللسان أن يقول ولا يفعل، فإن كذب القلب -وهو الأخطر- أن يبرم العقد مع ربه ثم لا يفي، وكثير ممن حولك جمع بين الكذبين، وأنا أخاف عليك وباءهم أن يُعدِيَك!

وهذه الضربة بمثابة عملية تغيير شاملة تجعل عالي النفس الباطل سافلها، وتهدم ما بنى الشيطان لتشيد على أنقاضه بناءً شامخاً يحوي الحق ويحميه، وسط عالم يموج بالتغيير كل لحظة، مما فرض على المؤمن أن يواكب عصره، ويوجِّه التغيير الواقع لا محالة نحو الأفضل، وإلا هوى به نحو الأسفل تحت تأثير غزو الباطل وحصار الحق، شعارك في معركة التغيير: إلى الأعلى وإلا هويتُ!



إن التغيير الداخلي لنفوسنا هو الأساس اللازم لدخول التغيير الإلهي المُرتقب حيِّز التنفيذ، وهو تغيير شامل يتجاوز حروف كلمة «تغيير» الخمسة إلى ساحات خمسة أوسع:

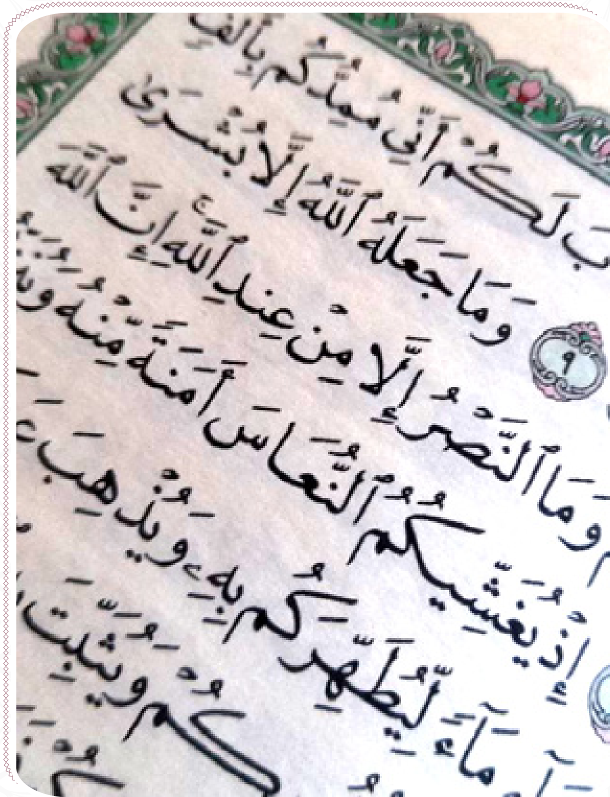
- **ساحة القناعات:** الإيمان بأن تغيير العالم بأسره إنما يبدأ من الداخل.. من أعماق نفوسنا لا من خارجها، وأن مفتاح حلّ الورطة الحالية هي أنا وأنت، وأن عملية التغيير المرتقبة يرعاها ربنا من فوق سبع سماوات؛ لذا ترتبط بحرفين اثنين: الكاف والنون، «كن» وينتهي الأمر.

- **ساحة العبادات:** عدم الرضا عن النفس أو القناعة بواقعها الإيماني الحالي، والطمع الدائم في طاعات أفضل ومقامات أرقى تُدني من المولى سبحانه، وهذه هي النفس اللوامة؛ تلوم نفسها في الحالين: حال المعصية أن وقعت فيها، وحال الطاعة أن لم تستزِد منها ولم تحقق معانيها ومقاصدها بشكل أفضل.

- **ساحة الهدايات:** فتْح ميادين للدعوة أوسع والابتكار والتجديد والإبداع والإفادة من تجارب الآخرين ولو كانوا كافرين، والبناء على العلوم البشرية والخبرات الإدارية المتلاحقة وتسخيرها من أجل إحداث أثر دعوي أقوى وأدوم.

- **ساحة العادات:** تغيير صفة قبيحة أو اكتساب أخرى حميدة، بل وتمتد رياح التغيير إلى أن تشمل عاداتنا الجميلة الموروثة، فنطوِّر منها ونرتقي بها لنجني منها شهداً أحلى وثمراً أطيب وغرساً أوفر، وهل النجاح في بعض معانيه إلا تغييرٌ يتم فيه تأدية المهام الاعتيادية بصورة غير اعتيادية؟

- **ساحة المبادرات:** تغيير بامتلاك زمام المبادرة بدلاً من الرقود في مربع المتأثرين، والانتقال من رد الفعل إلى صناعة الفعل ذاته.



هذا التغيير بأضلاعه الخمسة هو التغيير الذي ننشده وتنتظره الأمة وترتقبه، وما تأخر نصرنا إلا لأننا لم نصل بعدُ إلى المستوى المطلوب من التغيير المنشود، وما النصر إلا من عند الله، فإنه سبحانه بيده أمرنا وأمر عدونا.. ولو اطّلع على قلوبنا ورضي عنها ما سامنا ألوان الهوان وضروب العذاب على يد عدُوِّنا.

۞ وإلى الآن.. لم تتكسر الصخرة بعد.. انكسر ثلثها.. وبقي الثلثان.. فليست ضربة الصلاح وحدها كافية.. إلا أن تُتبِعها بضربة ثانية.. تسهم في إضعاف الصخرة وتُسهِّل تحطيمها.. هيا ارفع يديك عالياً.. واستعد لتوجيه:

الضربة الثانية.. ادعُ غيرك



وهو بمثابة الترميم الأفقي، بمعنى: الانتشار بين الخلق.. أخذاً بأيديهم إلى طريق الهداية.. إنقاذاً لهم من مهاوي الحرام ومراتع الشهوات.. خلُقاً نبيلاً تمثَّله غاب عنهم طويلاً.. تعاوناً معهم على الخير نوصد به الباب في وجه الشر.. انتشالاً لهم من الطواف حول الذات والسعي على الملذات إلى الطواف على مصالح الآخرين.. غرساً لحب الغير ابتداء من حدود الأسرة الضيقة إلى دائرة الجيرة الأوسع، وصولاً إلى أفراد الأمة بأسرها أينما وُجِد مسلم في أدنى الأرض أو أقصاها، لتسود قيمة الإيثار بعد أن طغت رذيلة الأثرة وأعيت.. انتقالاً من دائرة الصلاح السلبي إلى الإصلاح الإيجابي..

أما أنتم.. يا من حصرتم صلاحكم في دائرة نفوسكم فبخلتم عن غيركم وحبستم نوركم عن إخوانكم.. وظننتم أن دعاءكم للمعذَّبين وحده يُسقِط عنكم تبعة الحساب وهول العذاب.. أقول لكم: الدعاء وحده لا يكفي؛ فلابد معه من عمل صالح يرفعه وإلا فهو علينا مردود ومن الإجابة مسلوب، والبرهان أصدق كلام: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]. عرفتم الآن لماذا تكسرت سهام دعاء الكثيرين على أبواب الإجابة!

سقط إلى الآن ثلثا الصخرة، ومن أدام الضرب بلغ الهدف، فمع الضربة الثالثة وهي الأهم.. فهيا.. على بركة الله إلى:

الضربة الثالثة.. ثبِّت قلبي رباه



رفاقي في نصرة الدين.. تريدون اختبار قوة نفوسكم ومقدار مروءتكم وصلابة إيمانكم؟! إذن فاسألوها: هل ثورتنا بعد كل أزمة فورة يوم أو يومين ثم برود وغفلة؟! أتبكي عيوننا برهة من الزمن ثم سرعان ما ينقلب الدمع طرباً، وتتغير حروف كلمة «ألم» لتصير «لذة» وتتوارى مع مرور الأيام انكسارات الحزن خلف اهتزازات اللذة؟!

إننا إن أردنا بحق الخروج من هذه الورطة فلا مناص من ثبات الأداء حتى يتحوَّل حماسنا وغضبنا وعملنا من الطفرة العابرة إلى العادة الراسخة، كأنها أنفاس تتردد لو انقطعت عنا لمتنا، ويعود يؤرِّق منامنا كل ليلة سؤال واحد يبعثه كل منا لنفسه: ماذا بذلت اليوم لديني وأمتي.. من وقتي.. من بدني.. من مالي.. أرق لا يهدأ إلا إذا كان الجواب حاضراً بالإيجاب!

هذا الدوام وطول النفس هو ما ميَّز عالي الهمة عن غيره، حتى جاء في وصفه أن نفسه تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً، أما قصر النفس والانقطاع بعد العمل والرقدة بعد الهبة فشيمة أكثر الناس.

إخواني في حب الشهادة.. اغتنموا حزنكم.. لا تقتلوه عسى أن ينفعنا.. اجمعوا كل حسرة قلب.. كل زفرة ألم.. كل دمعة تحجرت في المآقي واجعلوها في جعبة واحدة... ثم أوقدوا تحتها نار الكمد وجمرة الغضب حذار أن تنطفئ.. ثم فجِّروها ثورة:



شعارها: مضى عهد النوم.. كما صدح بها نبيكم أول مرة

وقودها: كيد أعدائكم المصبوب على رؤوسنا صباح مساء.

جنودها: كل مَن آمن معكم بفرضية التغيير وحتمية الإصلاح.

افعلوا هذا وأنتم ترفعون فوق رؤوسكم وتظلِّلون الناس من حولكم بمظلة حانية تكسر حرارة الشدة وقسوة المحنة.. إنها مظلة التفاؤل؛ فأووا إلى كهف المتفائلين.

وما أراه اليوم في خضم المحنة ليس سوى فرصة ذهبية وضعها الله بين أيدينا لنزاحِم بها أكتاف الشهداء على أبواب الجنة. هي جولة من جولات الحق والباطل ولن تكون الأخيرة، وما نرجوه أن لا تمر كما مرَّ غيرها.. بل نريد أن نهتبلها لنقدِّم ساعة النصر، ونقطع نحو الهدف خطوات واسعات، ونرتقي بمن حولنا درجات عاليات نصبح بها أقرب إلى قطف ثمار النصر والخروج من بوتقة الذل. أعلم أنها فترة زمنية عصيبة نعيشها، لكن هل رأيتم من تعلم في هذه الدنيا دون ألم، أو تربى دون شجن؟

أبشروا واستبشروا بما خاطب الله به نبيه:

﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. طمأنةً من الله لنبيه وورثة نبيه..



﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ تقريب نصر مستبعد وتسلية قلوب مرهقة..

﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ لا لمحمد ولا لمخلوق بعد محمد.. بل الأمر لي وحدي.. أنصر من شئت.. متى شئت.. وكيف شئت..

﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ أنت أجير وعليك عمل.. إن أدَّيته نلت أجرك كاملاً لا يضرك من قصَّر ممن حولك أو فرَّط.

﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ لا تقل بعد اليوم: افعل ما عليك والباقي على الله، بل قوِّم لسانك وقل: افعل ما عليك وكِل الأمر لله، ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

أما أنتم أهلي في غزة.. يا أساتذتي في مادتي التضحية والفداء.. أبشِّركم.. ما وصلت القافلة نعم.. لكن وصلنا الأهم.. وهو الدم.. وصل لا إلى شاطئ غزة فحسب بل إلى كل مسلم ليشعل في قلوبنا نار الثأر المقدسة التي لن يخمد لهيبها بإذن الله دون نصر أو شهادة.

وبقي الشرط الأخير لتنزُّل النصر والذي ما تحقق إلى اليوم رغم كثرة الخير في الأمة ووفرة الصالحين فيها، وهو ما يشكِّل في نظري آخر مسمار في نعش الباطل، ويصنع مفتاح أبوابنا المؤصدة الفاصلة بين عهدين.. عهد الذل والانهيار.. وعهد العز والفخار.. ألا وهو بذل.. آخر ذرة جهد! ولم نبذلها بعد..

لا زال منا من يبخل بوقته.. يؤْثر مصلحته على حساب دعوته.. مَن يتقطع قلبه كمداً على ما أصابنا لكنه لا يقوى على صلاة فجر.. إطلاق يد بنفقة.. تعليم جاهل.. دعوة غافل. من أعطى الدنيا ومستقبله الوظيفي وعائلته أكبر مساحة في قلبه، ومن وراء قلبه وقته.

من ادَّخر جهداً لم يبذله.. استبقى ذهناً لم يتعبه.. ونوماً عميقاً ما هجره.. من أضاع حق ربه فأضاعنا الله وأضاعه، فردٌ أخَّر أمة، وعضوٌ مريض أعيا جسداً بأكمله. ولذا لم ننتصر.

وأخيراً.. أخي.. وأنتِ أختاه..

من أطال المنام لم يرَ غير الأحلام، فمتى تفتح عين عزمك لتعرف واجباتك بحق؟

متى تسدِّد ضرباتك نحو العقبة الكؤود التي تعترض طريق نصرنا وعزة أمتنا؟!

أما استنشقت عبير الشهداء ملوك الأسرة[1] سرى عبر البحار في أشرف الأوقات: الأسحار؟

أما وجدت برد نسيم الجنة سبقونا إليه؟

أما آلمك سبقهم وتخلفك.. فوزهم وخسارتك؟

أما تغار أنهم غادروا وخلَّفوك! وإلى الفردوس سبقوك؟!

اذكر آخر كلام ومسك الختام.. لا يمحوه من ذاكرتك تعاقب الليالي والأيام:

إنه لا انتصار لأمة ولا انكشاف لغمة ولا نيل من عدو ماكر ولا إغاظة لكافر فاجر، ومن وراء ذلك وهو الأهم: لا رضا لربنا ولا قرةَ عينٍ لرسولنا إلا بعد أن نبذل.. آخر ذرة جهد!!

وعندها فحسب.. ننتصر! كتبه موقنا بنصر ربه.

١ عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً، فأطعمته ثم جلست تُفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك. قالت: فقلت: ما يُضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عُرِضوا عليَّ غُزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرّة، أو مثل الملوك على الأسرّة، فقلت: يا رسول الله .. ادعُ الله أن يجعلني منهم فدعا لها، فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية، فصُرِعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت». [متفق عليه]. حشر الله إخواننا شهداء قافلة الحرية في نفس الزمرة بفضله وكرمه وألحقنا بهم في الشهداء. آمين.



د. علي عمر بادحدح
فكّ الله أسره

التضحية والثبات في غزوة أحد (١/ ٢)

إن هذا الدين لابد له من علم يُنشر، ودعوة تبذل، وأموال تُنفق، ومُهج وأرواح تُزهق في سبيل الله عز وجل، إنه ليس أمراً هيناً؛ إنها الرسالة العظيمة الخالدة، إنها الأمانة الكبيرة الماجدة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ويخاطب الله جل وعلا نبيه ﷺ فيقول: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

---

* علي عمر بادحدح، غزوة أحد درس التضحية والثبات، محاضرة مفرغة، موقع إلكتروني: الشبكة الإسلامية.

إنها أمانة هذا الدين والرسالة الخاتمة من رب العالمين، الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى للناس أجمعين، حتى يرث الله الأرض ومَن عليها يوم يقوم الناس لرب العالمين. هذه الرسالة العظيمة، وهذا الدرس الكريم نقف مع ومضات منه لنرى صورته في غزوة أحد، ولست معنياً بالوقوف مع الأحداث وترتيبها، وإنما نأخذ هذا الدرس الواضح الجلي في هذه المعركة العظيمة من معارك الإسلام الخالدة التي قادها محمد ﷺ برفقة الصحب الكرام الغر الميامين الأبطال الشجعان رضوان الله عليهم أجمعين.



وقبل أن نأخذ هذا الدرس من الصحابة رضوان الله عليهم نقف وقفة مع الجانب المناوئ للمسلمين، نقف وقفة لنرى صوراً من تضحية أهل الباطل، ونماذج من ثباتهم على باطلهم لا لشيء إلا تشبثاً بحمية الجاهلية، وإعزازاً لمذاهب الكفر، وإرغاماً للإسلام وأهله، فإن الكفر أيضاً لا ينتشر إلا ووراءه جهود تُبذَل، وأموال تُنفَق، وجهود وأعمال كبيرة، أفيكون أهل الباطل أحرص على باطلهم، وأغير على كفرهم، وأبذل له من أهل الحق والإيمان؟ لم يكن ذلك أبداً في عهد النبي ﷺ.. بل كان أهل الإيمان هم السابقون في تضحياتهم، الشامخون في ثباتهم رضوان الله عليهم أجمعين.

لما انتهت غزوة بدر كانت جراح مشركي مكة عظيمة غائرة، ونكبتهم وخسارتهم فادحة، وعظمتهم قد مرغت في التراب، ونفوسهم تشتعل نيراناً للأخذ بثأر كفارهم وقتلاهم من النبي ﷺ وصحبه الكرام،

ولم يكن الأمر مقتصراً على بدر، فقد كانت بين بدر وأحد وما بينهما من السرايا ما أظهر الله عز وجل به كلمة الإسلام، وكان آخرها: سرية زيد بن حارثة، التي عرض فيها لقافلة من قوافل قريش التجارية، ورغم أنهم تجنبوا طريق المدينة إلا أن سرية زيد بن حارثة أدركتهم وسبت كل مالهم وتجارتهم وفروا هاربين، فما كانت صورة استعدادات أهل الكفر؟ وما هي تطبيقاتهم العملية في ميدان المعركة؟

بذل أهل الباطل لأموالهم

لما نجت قافلة قريش الأولى في بدر ولقي المشركون الهزيمة، قال زعماؤهم وكبراؤهم: **يا معشر قريش! إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأراً.**



هذه القافلة التجارية التي كانت سبب غزوة بدر نريد أن تنفق لتجهيز الجيوش، وقيام الحملات الإعلامية، وتكتيل الصفوف لحرب محمد ﷺ وأصحابه الكرام.. تجارة موسمية كاملة، وخاطب قريش كبار تجارهم: إن هذه الأموال نريد أن تحول لتكون وقوداً للتعبئة العسكرية علنا أن ندرك من محمد ﷺ ثأراً، فأجابوا إلى ذلك؛ فباعوها كلها وأنفقوها في حرب الإسلام والمسلمين، وكانت تلك القافلة كما ذكر أصحاب السير: ألف بعير كاملة، وخمسين ألف دينار، أنفقت كلها لحرب الإسلام والمسلمين، ونزل في ذلك كما ذكر

بعض أهل السير والتفسير قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

المهم أنهم ينفقون ويبذلون ونراهم اليوم يجددون تلك السيرة، ونراهم اليوم وهم يتنادون من كل مكان، لسان حالهم كما أخبر الله عز وجل في كتابه المحكم الكريم في شأن الكافرين وندائهم لبعضهم البعض: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]، ولذلك تنادوا فأنفقوا الأموال لتجهيز الجيوش وحرب الإسلام والمسلمين، وهم اليوم يتنادون لذلك، وتصب الأموال بالملايين لتكون حرباً وقنابل وقذائف تصب على رءوس المستضعفين من إخواننا في البوسنة أو الشيشان أو فلسطين أو الهند أو في أي مكان من بلاد الإسلام والمسلمين.

تضحية أهل الباطل بأرواحهم

لننظر إلى صورة أخرى لنرى كيف يكون الباطل مدافعاً عن حقه وهو على باطل؛ حتى ندرك أن أهل الحق هم أولى بذلك.



قبل أن تبدأ المعركة كان من المتعارف عليه أن الراية دائماً في بني عبد الدار من قريش، وكان النضر بن الحارث هو حامل رايتهم في يوم بدر، وقد وقع أسيراً في أيدي المسلمين، ووقوعه في الأسر دليل على الخزي

والذلة والجبن والخور، فلما جاءت معركة أحد جاء أبو سفيان القائد العام لجيوش كفار مكة يخاطب بني عبد الدار حتى يثير حميتهم، ويحضهم على التضحية والثبات، فيقول لهم ويناديهم: يا بني عبد الدار! قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قِبل راياتهم إن زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه.

وما كانت العرب أبداً لترضى بالذل والصغار، فصاح بنو عبد الدار: أنسلم لك الراية؟ لترين غداً كيف نصنع؟ وقد ثبتوا ثباتاً يعجب المرء منه، ويأخذ منه في الوقت نفسه درساً وعبرة.

كان حامل رايتهم طلحة بن أبي طلحة العبدري سيد بني عبد الدار، فلما بدأت معركة أحد خرج مختالاً يطلب المبارزة، وكان فارساً من أشجع الشجعان الأبطال عند العرب، فهاب الناس لقاءه، ثم تقدم له الزبير بن العوام رضي الله عنه وأرضاه، فلم يلبث أن وثب الزبير وثبة عظيمة حتى كان معه على جمله، ثم صرعه من جمله فألقاه في الأرض، ثم ذبحه رضي الله عنه وأرضاه، فماذا صنع بنو عبد الدار بالراية التي أعطيت لهم؟ تقدم لها أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة ورفع الراية مرة أخرى، وصار ينادي:

إن على أهل اللواء حقاً ... أن تُخضب الصَّعدة أو تندقّا

وظل يقاتل حتى جاءه حمزة رضي الله عنه وأرضاه، أسد رسول الله ﷺ، فضربه بسيفه البتار ضربة على كتفه خلع بها يده، حتى بلغ سيفه إلى رئته فقتله، ثم جاء بعد ذلك أخوه أبو سعد بن أبي طلحة العبدري ورفع اللواء مرة أخرى وهو ينادي ويشمخ بلسان بني عبد الدار مرة ثالثة، ثم جاءه بعد ذلك سعد بن أبي وقاص فرماه بسهم فأصاب حنجرته، فاندلقت لسانه فمات من حينه، ثم حمل اللواء بعد ذلك



مسافع بن طلحة ابن أبي طلحة ثم جاءه سهم من عاصم بن ثابت رضي الله عنه فقتله، ثم حمل الراية أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة ثم قتل، ثم جاء أخوه الثالث وهو الجلاس بن طلحة ثم قتل.

ستة نفر من بيت واحد ثلاثة إخوة وثلاثة أبناء لواحد من هؤلاء الإخوة، ثم تنادى بنو عبد الدار فحمل الراية منهم أرطأة بن شرحبيل، فجاءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله، فحمل الراية شريح بن قارض منهم أيضاً فقُتل، ثم جاء أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدري فقتل، ثم جاء ولد لشريح بن هاشم فقتل، حتى فني في هذه الراية من بني عبد الدار عشرة منهم متواليين من كبارهم وزعمائهم وأشرافهم، فحمل الراية بعد ذلك غلام حبشي لبني عبد الدار يقال له: صواب، وأبلى في حمل الراية أكثر مما أبلى أسياده من بني عبد الدار أنفسهم، حتى قُطعت يداه فبرك على الراية بصدره وعضديه، حتى قُطعت عنقه وهو يقول: «اللهم آعززت؟» أي: هل قمت بحقها؟

فانظر رحمك الله كيف كان أهل الباطل يتوقدون غيرة وحمية وجاهلية.. يثبتون ويضحون لأجل باطلهم وجاهليتهم الزائفة وأمجادهم الباطلة، وأهل الإسلام يريدون أن ينالوا الشرف اليوم دون أن يضحوا، أو أن يبذلوا، أو يثبتوا، ويريدونها هينة سهلة وهم ينامون ملء عيونهم، ويأكلون ملء بطونهم، ويضحكون ملء أشداقهم. ما كان ذلك في عهد النبي ﷺ!

سنرى صور التضحية والثبات في سيرة الأصحاب رضوان الله عليهم، وها نحن نقف هذه الوقفات الأعظم والأجل والأجلى في أخذ الدرس والعبرة من صحب النبي ﷺ.

أبو دجانة وعُصابة الموت

هذا أبو دجانة.. عندما نادى النبي ﷺ في يوم أحد ورفع سيفه: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟»، فتنادى له الصحابة رضوان الله عليهم وتسابقوا إليه، فقال النبي ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» قالوا: وما حقه يا رسول الله؟! قال: «أن يقاتل مقبلاً غير مدبر» فتراجع بعضهم لا جبناً وإنما خوفاً أن يقصروا بالوفاء، فتقدم له أبو دجانة وقال: أنا يا رسول الله!



وورد في بعض روايات السيرة أن الزبير تقدم له فمنعه منه النبي ﷺ وأعطاه لسماك بن خرشة أبو دجانة رضي الله عنه، فلما أخذه عصب على رأسه عُصابة حمراء فقالت الأنصار: عصب أبو دجانة عصابة الموت، وظل يمشي مشية مختالة، فقال النبي ﷺ: «إن هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن»؛ لأنه موطن إعزاز للإسلام والمسلمين.

فماذا صنع أبو دجانة رضي الله عنه؟ عندما أخذ السيف وبدأت المعركة صار ينادي:

أنا الذي عاهدني خليلي	ونحن في السفح لدى النخيلِ
أن لا أقوم الدهر في الكيول	أضرب بسيف الله والرسول

ثم فلق به هام المشركين، وشق صفوفهم، وخاض في الموت، وفي حمام الهلاك وهو يجندلهم عن يمينه وشماله، قال: حتى خلصت إلى فارس يخمش الناس خمشاً شديداً فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا هو امرأة، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن تُضرب به امرأة، وكانت هذه هند بنت عتبة رضي الله عنها فقد أسلمت فيما بعد وحسن إسلامها، كانت قد تلثمت وحاربت، وكانت من أشجع المحاربين في تلك المعركة، قال الزبير في بعض روايات السيرة: فرأيت فارساً لا يجد أحداً من المسلمين يزفف -أي: في آخر الرمق- إلا وأجهز عليه، فقلت: لعله يلقاه أبو دجانة، فما زلت أنظر حتى التقيا، ثم رفع أبو دجانة سيفه ولم يمضِه، فنظرت فإذا هي هند بنت عتبة. وهكذا فعل أبو دجانة رضي الله عنه.

أسد الله حمزة

نأتي إلى موقف آخر لحمزة أسد رسول الله ﷺ، ذاك الذي كان الموت يتربص به في ميدان المعركة، لكنه مات غيلة وغدراً، كان رضي الله عنه قد فلق الهام، وقطع الرقاب، وشق صفوف المشركين شقاً، ثم لم يصمد له أحد، ولم يستطع أحد أن يواجهه، حتى جاء وحشي رضي الله عنه وقد أسلم فيما بعد وصار من الصحابة، لم يكن عنده مهمة في هذه المعركة إلا أن يغتال غيلة وغدراً وخسة ودناءة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فظل يكمن في أماكن معينة حتى أصاب منه غرة فأنفذ فيه حربته فقتله لوقته رضي الله عنه وأرضاه.

قمة من قمم الثبات النبوي

أما المثل الأعظم الذي سنجعل وقفتنا معه، فهو المثل الذي تتقاصر دونه الأمثلة، والشجاعة التي تظهر كل شجاعة دونها بمراحل، شجاعة النبي ﷺ، القدوة العظمى في التضحية لهذا الدين والثبات عليه والدعوة إليه.



لما دارت الدائرة على المسلمين بعد نزول الرماة، وبعد أن كانت الجولة لهم، واشتد الاختلاط في صفوف المسلمين، وبدأت المعركة ينفرط عقدها، كان النبي ﷺ في تسعة نفر من أصحابه، وكان من المتبادر إلى أذهان أهل الضعف والخور، أو إلى أذهان أهل السلامة أن من الأصلح له أن ينسحب بهذه الكوكبة حتى يرجع إلى المدينة، حتى يسلم أصحابه أو حتى يسلم هذه الأمة، لكن النبي ﷺ كان مضرب المثل والقدوة، كان علي بن أبي طالب يقول: «كنا إذا احمرت الحدق، وحمي الوطيس؛ نتقي برسول الله ﷺ».

كان دائماً هو المقدم ﷺ، فماذا صنع في ذلك الموقف؟

صاح: «يا عباد الله! هلموا إليّ أنا رسول الله».

وهو يعلم أن صوته سيسمع عند المشركين قبل المسلمين، وكان الأمر كما كان، لقد سمع المشركون هذا النداء، وكان يعلم النبي ﷺ أن هذا سيسمع وأن الجموع ستجمع، وأن الجيوش ستتوجه نحوه ﷺ، لكنه أراد أن يبين للأمة أن الثبات في الجيوش بثبات قياداتها، وأن المضي بمضي كرامها، ولذلك نادى هذا النداء العظيم ليقول كما قال بعد ذلك في يوم حنين:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

فما كان له ﷺ أن يتخلف عند مواضع التقدم، أو أن يتراجع في مواضع الثبات ﷺ.

نادى هذا النداء ثم تجمعت الجيوش من حوله، فكانت صورة رائعة من صور تضحية الصحابة وفدائهم قَلّ أن يجود التاريخ بمثلها مطلقاً، لذلك تجمع أولئك القوم حول النبي ﷺ، حتى شُج وجهه الكريم، وسال دمه على جبهته، ودخلت حلقات المغفر في وَجنتيه، وكسرت رَباعيته ﷺ، حتى قال ﷺ في هذا الموقف: «كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم».

درس لنا كيف ضحى النبي ﷺ وهو أشرف الخلق أجمعين؟ وبذل لأجل هذا الدين، وخاض غمار المعارك حتى سال دمه ولقي الموت؟ ونحن نريدها هينة سهلة، لو كانت هينة سهلة لكانت لرسول الله ﷺ، ولو كان الإكرام للصلاح لكان أحق المكرمين هو رسول الله ﷺ، ولو كان النصر يُهدَى لأحد لأُهدي إلى رسول الله ﷺ، ولكنه درس للأمة أنه لا يمكن أن تُرفع لها راية، ولا أن تقوم لها قائمة، ولا أن ينتشر دينها، ولا أن تقوى قوتها وتعظم سيادتها إلا بالبذل والتضحية في سبيل الله عز وجل، والثبات على هذا الدين، فلذلك رسم النبي ﷺ هذه الصورة المشرقة الرائعة في الثبات والتضحية في سبيل الله عز وجل حتى كان موئلاً تجمع حوله الصحابة من جديد، وانتهت المعركة نهاية مشرفة، وقد كان من الممكن أن تكون نهايتها أسوأ وأعظم شراً في الهزيمة على المسلمين، ولذلك ضرب النبي ﷺ المثل والقدوة من نفسه.

فإذا كان الرسول قد دمي وجهه، وكسرت رباعيته؛ فما على أحد بعده أن يصيبه في سبيل الله عز وجل ما هو أشد وأعظم وأنكى من هذا.

[يستكمل في العدد القادم من مجلة أنصار النبي ﷺ إن شاء الله]





د. عبد المحسن الأحمد
فك الله أسره*

هل بعد الابتلاء نصر؟

عرفنا أن الابتلاء لا بدّ منه والسؤال هنا: هل بعد الابتلاء نصر؟

الله سبحانه وتعالى وعده لا يخلف، قال الله عز وجل ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [غافر: ٥١] هذا وعد في الحياة الدنيا هنا، ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥٢]. فوعَدك بنصرَين، لا يصح أن تقول «مات» عمّن نصر دين الله ومات، الذي يموت بسرطان أو في حادث تقول إنه «مات»، لكن الذي يموت في سبيل الله انتبه أن تقول «مات»، الله سبحانه وتعالى يقول لك: لا تقل!

---

* المقال مقتبس من محاضرة (متى النصر)، موقع إلكتروني: الشيخ عبد المحسن بن محمد الأحمد، ٢٠١٨م، تحرير: مجلة أنصار النبي ﷺ.

سمّهم قتيلاً أو شهيداً، لكن لا تقل: «مات»، لأن كلامك غلط وتصبح كاذباً، فقد قلت كلاماً خطأً، الله سبحانه وتعالى يقول في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ﴾ [البقرة: ١٥٤] ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٞ﴾.

لكن أنا أراه الآن بين دمائه وجسده أشلاء! ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾.. الحياة له ليست لك، فكيف تشعر بها؟ لا يشعر بها إلا المؤمن الذي دخل الإيمان قلبه.

يقول أحدهم: والله لن أقولها مرة أخرى إذا رأيتُ شهيداً، لكن يأتي في عقلي أحياناً فأظن أنه مات.. ظنّ فقط.

هنا يقول الله عز وجل لك: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، انتبه.. حتى الظن لا تظن، أو تفكر بينك وبين نفسك، القرآن يضبط حتى تفكيرك ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

إذن.. كيف انتصَر هذا الشهيد؟

يجب أن ينتصر في الدنيا والآخرة، صحيح؟

اصبر.. الآن أُنظر أين هو وستعرف هل انتصر أو لا؟

﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾.. يا الله! سبحانك جل جلالك.. ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾..

ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ
بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ
بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠
۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ
فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣



أنت أين ستنام اليوم؟ عند أهلك، أما هو فعند ربه.

أنت ماذا تأكل اليوم؟ هو طعامه اليوم عند ربي ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

أنت كيف وضعك الآن؟ فَرِح وسعيد في حياتك؟ أم عندك هَم وغم!

أما هو -الذي تبكي عليه وتقول إنه مات- «فَرِحِينَ»، أنت لما تقول عن شخص «سعيد» غير ربي عندما يقول يقول إنه فَرِح! شتّان بين جواره وجواري، لأن مالك الملك العليم الذي يعلم ما في الصدور لما يقول عن أحد إنه فَرِح فهو الفَرح حقاً.. لا إله إلا أنت سبحانك.

فرحين بماذا؟

﴿بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾.. يخبر الله أنه أعطاه عطاء فرِح به ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم﴾ [آل عمران: ١٧٠]. يقول: يا ليت قومي يعلمون، يا ليت من يبكي عليّ يعرف أين أنا الآن وما هي مشاعري، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

«يَسْتَبْشِرُونَ».. مرة أخرى يستبشرون وفرحين، ومَن الذي يصفهم؟! ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]. كل ما فعله المؤمن وبذله في سبيل الله، وصبّره على الابتلاء هذا الإيمان، لن يضيّع اللهُ أجر أصغر عمل عمله.



وإذا سألنا من هو المؤمن الصادق؟ يقول الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

هل كان الموضوع بكل سهولة؟

لا، بل ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾.. ابتُلي، لم تأته على طبق من ذهب. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

ثم ما الذي يخيف الناس غالباً؟ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

انظر أمريكا وروسيا وإيران، عندهم قوة وسيفعلون بكم... إلخ، فالمؤمن أمامه صفقة عنده فيها أحد أمرين، إمّا يكسب أو يكسب! هذا فقط في القرآن ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]. إما أن أنتصر عليك في الدنيا وإما أن أُقتل وأحيا حياة ثانية مختلفة عن حياتكم.



إنها العقيدة.. ولماذا سميت عقيدة؟

لأنها معقودة بالقلب، والمعقود في القلب غير قابل أن يطفو على السطح ويُناقَش مرة أخرى، لهذا الله سبحانه وتعالى لمّا تكلم عن عقيدة الإنسان في الرزق قال جلّ في علاه: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٢]، رزقك ليس بيد أحد، لا يستطيع أحد توقيع ورقة إلا بأمر الله، فلا تذل نفسك لغير الله، قدّم وحرك الجوارح، لكن سكون القلب عقيدة، أن رزقي ليس بيد فلان، ماذا قال الله سبحانه وتعالى بعدها؟ ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، أنت تشك أنك تنطق؟ لا، إذن لماذا لمّا قالوا سنقطع رزقك ما استطعت أن تنام الليل؟ الأولى أن تضحك من ذلك مثل ثقتك أنك تنطق! فالعقيدة إذا عُقدت غير قابلة للنقاش.

لهذا الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قنابل تُقذف عليهم من فوق ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ ألغام ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ قنّاص من هنا وقنّاص من هناك، الواحد يخاف وهو في البيت وفي السيارة ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ﴾ بدأ النقاش يرتفع ويفكر: لو أتتني طلقة!



لو كان موتك اليوم ستموت سواء بطلقة أو أنت ببيتك بسكتة قلبية.. إذا كان هذا يومك.

فهناك ناس تمشي بهذه العقيدة، نعم آخذ حذري وأُعدّ لهم ما استطعت من قوة، لكن لا يخيفني هؤلاء، فقال الله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾، اهتزت العقيدة ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لم يقُل سبحانه «ابتلي الناس» لأن بعضهم سيسقط عنه القناع سريعاً.

وهذا من الحكمة، لماذا لا ينصر الله الدين مباشرة سبحانه وتعالى؟

لأن الآن الصف مليء بشتى الأصناف، معك منافق لا امتُحن ولا مُحص، وهو ضدك أساساً، منافق لا يحب إلا الغرب ولا يريد تطبيق الشريعة، لو انتصر الدين الآن قام معك المنافقون كلهم، لهذا الله سبحانه وتعالى قال: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، هنا يخرج المنافق، أما لو انتصروا مباشرة سيكون معهم المنافقون، الله سبحانه وتعالى في النهاية أرسل ريحاً وجنوداً لم تروها وهزم الكافرين لم يقتلهم أحد، لكن لو انتصروا من البداية؟

فلابد من البلاء ليظهر المنافقون من المؤمنين.



الشيخ الدكتور سفر الحوالي

فك الله أسره

ملحمة الشام (٤/٤)

وهكذا جاء نور الدين فابتهجت .. في السهل عرس وفي الأبراج أحضان

أتى إلى حلب الشهباء ينقذها .. إذ كان لطخها بالرفض رضوان

وجاء بالسنة الغراء يبعثها .. هداً لكفر العبيديين إذ خانوا

خمسون حصناً بحد السيف حررها .. وكلها بالعلوج الشقر ملآن

قد عاهد الله أيماناً مغلظة .. وهو الصدوق وإن لم تعط أيمان

ألا يُرى ساعة في الدهر مبتسماً .. ولا يقر له حال ولا شان

مادام في حوزة الكفار مسلمة .. يسومها الفحش دعار ومجان

---

* د. سفر الحوالي، من قصيدة: ملحمة الشام، موقع إلكتروني: طريق الإسلام، ٢٠١٣م.

ولا يظلله سقف ولا كنف •• ما قام للسيف إعمال وإثخان

ما نال من بيت مال المسلمين يداً •• وإنما رزقه بالوقف دكان

وزوجه تنسج الأستار صائمةً •• نهارَها وهي للإفطار أثمان

دار الحديث بناها فهي سامقة •• والعلم أس وباقي الأمر بنيان

ألغى المكوس وأقصى من تأولها •• والسحت مهما طغى غبن وخسران

والعدل والنصر مصفودان في قرن •• ومنتهى الظلم إدبار وخذلان

شر الملوك الذي يختان أمته •• في رزقها فهو مكاس ومنان

قل للمرائي بلا جهد ولا نصب •• أقصر لُعنت نخير منك قزمان

وحسب محمود الأواب مفخرة •• أن الرسول أتاه وهو نعسان

وقال: شأنك والعلجين إنهما •• راما أذاي كما يندس ثعبان

فجاء طيبة يحدو العيس جاهدة •• وأحبط المكر فوراً وهو غيران

وحاط أطهر رمسٍ من قواعده •• فالردم من آنك والقطر أركان

تباً لروما فقد شابت ذرى أحدٍ •• لمكرها واقشعرت منه لبنان

واعجب وإن شئت قل لي كله عجب •• لمنبر صاغه تقوى وإيمان

عشرون عاماً ونور الدين يحمله •• وللمهندس تجديد وإتقان

من العراق إلى الأعماق يصحبه •• وما رقاه -على الإطلاق- سحبان

والجيش يسأل هذا ما يراد به؟ •• إذ جاز في الشرع للإحسان إعلان

وإنما كان نذراً لا يبوح به •• للقدس، أواه هل للقدس جيران

قد رام أمراً فكان الموت سابقه •• ونية الخير بالإنجاز صنوان

وهذه الأمة العصماء ما شهدت •• إلا بحق وفي الأخبار تبيان

باسم الشهيد لنور الدين قد لهجت •• وللكرامات في الأرواح وجدان

ومن أتى الله بالإخلاص أورثه •• لسان صدق وعقبى الذكر رضوان

مرحى فهذا صلاح الدين ينجزه •• نعم الخليفة للإسلام معوان

أقام حطين في التاريخ ملحمة •• يشدو بها في فضاء الدهر أكوان

يا فارس القدس أرض الفتح تُقْطِعُها •• وما لنفسك مثل الجند بستان؟

كم مات من هو أدنى منك مملكة •• وكنزه العين أحمال وأطنان

وأنت ترحل لا كنز ولا نشب •• ولا عقار ولا قصر ولا خان

المال كالعمر في درب الجهاد مضى •• فيء ووقف وأنفال وسلبان

نفسي فداء يمين منك قد فلقت •• بالسيف «أرناط» والمنذور عطشان

لو افتدى بكنوز الأرض ما قُبلت •• إن نال عرض رسول الله فتان

أسرت أقيال أوروبا وتعتقهم •• فشأنك الدهر غلاب ومنان

أخلاقكم هزمتهم قبل رايتكم •• فهل تزكى بريطان وألمان

لا يُبعد الله عكا إنها شهدت •• أن الوفاء مع الأنذال خسران

إذا قدرنا فإن الصفح شيمتنا •• وهم إذا قدروا غدر وختلان

وحيثما لاح في أرجائها ذهب •• أو أبصروا النفط فالقديس قرصان

«غورو» و«ريموند» و«اللنبي» وصاحبه •• كلٌّ على الغي سفاح وخوان

قوم تراهم وحوش الحرب ما غلبوا •• وهم إذا عجزوا للسلم حملان

ألا تراهم وقد قامت قيامتهم •• لما تطلع للإسلام بلقان

خاطوا الأحابيل باسم السلم واجتمعت •• رغم العداوات أحلاف وأديان

لا دين للغرب إلا حرب ملتنا •• وما عدا ذاك لا تسأل بما دانوا

يأبى السلاح ويعطي القوت تعمية •• فالقوم صنفان جزار وتبان

وهيئة الأمم النكراء مسرحهم •• ومن وراء خيال الظل أرسان

ونحن نشكو إلى الجزار خادمه •• كيلا يقال «أصوليون» «أفغان»!!

الشام أكثر أرض الله معرفة •• بغدرهم إذ غزاها منه غزوان

ومثلهم ما تغشى الشام من محن •• لما تجبر هولاكو وقازان

وأقبل الجحفل الجرار من تتر •• كأنما أُشعلت في الأرض نيران

ولم تر الشام من يحمي محارمها •• بل فر بالخزي نواب وسلطان

فقام بالأمر حبر الدهر أجمعه •• دمشق مَدْرَجهُ والأم حرَّان

قام ابن تيمية في نصر ملتنا •• كصاحب الغار والردات ألوان

ما شاءت الشام من سيف ومن قلم •• ما يشتهي المجد مغوار وميزان

الجهبذ البارع الماضي مهنده •• لمنهج الوحي حفاظ وصوان

الفلسفات تهاوت عند صولته •• كما تهاوى أمام الضيغم الضان

وحطم المنطق المفتون ناظره •• وكل ما أسست للشرك يونان

وللنصارى صراخ عند جولته •• وللروافض نوَّاح وأنَّان

وللتصوف أرصاد مسننة •• مثل الشهاب إذا ما ند شيطان

إذا تأنق في المنقول مجتهد •• وإن تعمق في المعقول ربان

كم جاء من بعده في العلم من علم •• فلم يقاربه فيما رام إنسان

والكل من بحره الزخار مغترف •• تفيض منه الروايا وهو ملآن

درء «التعارض» و«المنهاج» شاهدة •• وفي «الجواب» أعاجيب وبرهان

وفي الفتاوى كنوز طاب معدنها •• وفي «البيان» على التعطيل بركان

وفهمه في كتاب الله معجزة •• تحيّر العقل تأويل وتبيان

والفقه بالحجة البيضاء حرره •• فقوله الفصل والمعيار قبّان

ماذا تُعدِّد من جُلَّى مناقبه •• وهل يقوم لموج البحر حسبان

وهكذا الشام ما شاخت ولا عقمت •• إذا تدفق بالإسلام شريان

عهدي بها وعرى التوحيد تجمعها •• وشأنها اليوم أحزاب وأديان

فللنصارى حكومات وألوية •• وللقرامطة الأنتان سلطان

وللدروز بروز في محافلها •• وللروافض نواب وأعيان

أما اليهود فقل عنهم ولا حرج •• الدهر يعجب والتاريخ سكران

لولا حجارة أرض الطهر ما عرفوا •• طعم العقاب ولا أصغوا ولا هانوا

ثارت تزمجر والتكبير يرفعها •• وهز نخوتها قهر وعدوان

هَبْ الحكومات بالإرهاب تخنقها •• أليس في صمتنا للرفض عنوان

ربائب الروم بالقومية استتروا •• خانوا الشعوب وهم لله خوان

يشكون بالذل مما سامهم «نتن» •• وهم من الأصل أعيار وأنتان

كم أضجر الناس عهد الشجب كم لعنوا •• أبواق من نددوا باللفظ أو دانوا

وللبيانات أسجاع مكررة •• يقيء منها على الإعلام أذهان

ثم انتكسنا فلا شجب ولا أمل في •• الشجب فالأمر تهويد وإذعان

أستغفر الله بل شجب وولولة •• إذا تخبط «رابين» و«كاهان»

وأصبح الهيكل الموهوم كعبتهم •• وشيكل النحس للبترول أثمان

والبعث لا بعث بل خسف ومهلكة •• بئس الشعارات إلحاد وكفران

الكفر محكمة التفتيش تحرسه •• والناس صنفان ثوار وثيران

قامت على نحلة التثليث دعوتهم •• فللأقانيم أشكال وألوان

سودٌ خيانتهم حمرٌ جنايتهم •• وحسبهم أن إحداها «حزيران»

فروا وهم في ذرى الجولان -يا عجباً- •• من اليهود وهم في السهل ما بانوا

وأعلنوا أنها في يومها سقطت •• والساقطون هم الحكام إذ خانوا

لم يسكتوا وضباب الرعب يغمرهم •• عند النزال ولاهم للحمى صانوا

وللعمائم تطبيل وبهرجة •• يغار إبليس منها وهو فتان

وربما أخَّر الدجال مخرجه •• إذ لا مكان له والقوم جيران

أهذه الشام أم عيناك زائغة •• وربما زاغ طرف وهو يقظان

وشْيٌ بديع كسوناه حضارتنا •• كيف انطوى فهو أطمار وخلقان

فانفض يديك من الدنيا وزينتها •• فإنما هي أطياف وأطيان

واتل الرثاء على الأطلال مفتتحاً •• (لكل شيء إذا ما تم نقصان)

مهما غلا الدمع فالمأساة ترخصه •• أو لم تجد فاستدن فالصب يدّان

أهل الصبابة دعواهم مُزَوَّقة •• لولا المدامع ما بروا ولا مانوا

واعجب لنا كيف صار الضيم يجمعنا •• فنحن في القيد أقران وإخوان

وانظر إلى موطن الأبدال مرتهناً •• يلهو بمغناه دجال وزفان

يقول يارب هذا الليل أثقلني •• فهل له آخر بالفجر مزدان

وهل إلى رمق بالبشر معتنق •• يزفه مورد بالعز ريان

أو تنقضي هذه الأحشاء ذاوية •• وتنضب الروح والمشتاق ولهان

لا، ليس لليأس درب في مشاعرنا •• مهما تناوب للأرزاء حدثان

بقية السيف بالأبطال ممرعة •• والثأر جرح فإعصار فطوفان

وللبطولة عشق لا يبدده •• وصل ولا يعتريه الدهر سلوان

وللعقيدة آساد مشمرة •• لكن تكنفها قهر وطغيان

هم الأحبة إن زاروا وإن هجروا •• هم الأخلاء إن حلوا وإن بانوا

أرض البطولات يا أسمى معاقلنا •• إذا ألَمَّ بدين الله عدوان

ذات القرون إذا حانت •• ففي رحابك فسطاط وميدان

نجوز تيه الفيافي كي ننازلها •• ونمتطي البحر نصواً وهو هيجان

ونركب الخيل عريا وهي حانقة •• وللمنايا كلاليب وأشطان

نقارع الموت والأهوال محدقة •• ونعتلي الريح والأجواء نيران

أتعجبين لأن الكفر أوثقنا •• حيناً وقد شهدت بالنصر أحيان

أم تجزعين لأن الظلم فرقنا •• أللمشاعر حراس وخزان؟!

هذي الحدود رماح في محاجرنا •• فليزعموا أن هذا القلب أوطان

من وقعوا «سايكس بيكو» وإخوتها •• متى اعترفنا بهم؟! هل نحن قطعان

الحمد لله حبل الله يجمعنا •• فلا تفرقنا قيس وقحطان

أم تعتبين فبعض الصفح موجدة •• للمستهام وبعض العتب غفران

والله لا نستقيل الحب ما برحت •• منا على البعد أكباد وأجفان

فليكتب الأرز ولتملل ضمائرنا •• ما شئت من موثق وليشهد البان

رئيس الهيئة

د. محمد الصغير

رئيس التحرير

محمد إلهامي

السنة الثالثة العدد ٢٨

سبتمبر ٢٠٢٤ ربيع الأول ١٤٤٦

